علّمتني سُورة المُؤمِنون

جمع وإعداد
م. عامر كبّارة

عَلّمتني سُورة المُؤمِنونْ

الطبعة الأولى
الترقيم الدولي:

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
صفر ١٤٤١هـ - تشرين أول - أكتوبر ٢٠١٩م.

يوزع مجاناً وصدقة جارية عن روح المرحومين:
الأستاذ بشير زنتوت
الأستاذ عبد الرحمن نصرت
الأستاذ أحمد خالد الحاج
السيدة مليحة مبسوط
الدكتور عمر معصراني
وعن أرواح أموات جميع المسلمين والمسلمات

طباعة وإخراج
وليد محمود شكشك ٠٣ ٢١ ٧٦ ٤٣

لبنان - طرابلس

www.3alamatnisurah.com
www.3alamatnisourat.com

علّمتني سُورةُ المُؤمِنونَ

جمـع وإعـداد

م. عـامـر كبّــارة

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي هذا الكتاب إلى كل مسلم ومسلمة

وأخصُّ عائلتي الكريمة الكبيرة والصغيرة، وبخاصةٍ الأحفاد الأحِبَّة الذين أرجو الله عزَّ وجلَّ أن يحفظهم ويهديهم إلى الطريق الحق الذي ارتضاه.

وأرجو الله عزَّ وجلَّ أن ينفعنا بما نقرأ، كما أسأله عزَّ وجلَّ التوفيقَ والقبول؛ إنه سميع مجيب.

والحمد لله رب العالمين

*****

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد أَشْكَلَ على البعض فَهْمُ الآية التي وردتْ في سورة الحُجُرات عن الأعراب والوَصْفِ بالإيمان والإسلام، وهذه الآية هي قولُه تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾. الحجرات.

[يلتكم: يظلمكم]

إن هذه الآية نزلت في أعرابِ بن أسد بن خزيمة ومن يَسْلُكُ سُلوكَهم، ولا تَعُمُّ جميعَ الأعراب؛ لأن الكثيرَ من الأعراب كانوا يؤمنون بالله ورسوله واليوم الآخر.

وتأويلُها: أنَّ هؤلاء الأعرابَ (بنو أسد) قالوا: نحن مؤمنون؛ صدَّقْنا بالله ورسوله ﷺ، فأوحى الله تعالى إلى نبيِّه أنْ قُل لهم - يا محمد -: لستم بمؤمنين، بل أنتم أسلمتم ظاهرًا؛ لأن هؤلاء القوم قالوا كلمة الإيمان بألسنتهم لِيَأْمَنوا المسلمين، ولم يُصدِّقوا قولَهم بفِعلهم.

ثم قال تعالى في تتمة الآية: ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: إنْ تصدِّقوا

إيمانَكم بأعمالكم ﴿لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ أي: لا يظلمكم مِثقالَ ذرة، بـل يقبل منكم الطاعةَ، ومن ثَمَّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ لمَن أطاعه وتاب إليه من سالف ذنوبه في السرّ والعلن؛ فتوبوا إلى الله يرحمْكم برحمته عزَّ وجل.

هذا هو التأويل الـذي اتفق عليه أكثر العلماء، وقد وضع الكثير من العامـة هذه الآيـة في غير موضعها، وفهِمها بطريقتـه، مما جعلنا نبحث في معاني (الإسـلام) و (الإيمان)، والفَرقِ بينهما، ومَن هم المسـلمون؟ ومَن هم المؤمنون؟ ثم ننظر في سـورة (المؤمنون) في القرآن الكريم؛ حيث تُعدِّد الكثيرَ من صفاتهم، - وصفاتُهم ليسـت محصورةً بما ورد في هذه السـورة فقط -؛ لنتدبَّر معانيها سعيًا وراء مقارنة هذه الصفات بما نحن عليه اليوم، فلجأنا إلى موسـوعة نضرة النعيم لأخلاق الرسـول الكريـم؛ لما فيها من شروحات واسعة ومتعددة وقيِّمةٍ عن الإيمان والإسلام والفرق بينهما...

الإيمان لغة:

مصدر آمن، وهو مأخوذ من مادة (أ م ن) التي تدل على معنيين هما:

(الأمانة) التي هي ضد (الخيانة)، ومعناها: سكون القلب.

٢- و (التصديق) الذي هو ضد (التكذيب).

وهـي أيضًا من (الأمان)، وضده (الخـوف)؛ لأن العبد إذا آمن بالله صار في أمان الله.

والإيـمان ضده الكفـر، وقد أُخِذ هذا المعنى مـن (التصديق) بإجماع أهـل العلم، وإنما قيل للمصدِّق بالله: (مؤمن) لأنه لما صدَّقَهُ استسـلم له،

وأمَّـنَ كلَّ مَـن كان على مثل تصديقه، فلم يَسـتَحِلَّ مالَهُ ودَمَـهُ وعِرْضَه، فيكـون المؤمنون بعضُهم في أمان بعض، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «والله لَا يُؤْمِنُ، والله لَا يُؤْمِنُ، والله لَا يُؤْمِنُ»، قيل: مَنْ يا رسولَ الله؟ قال: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ» متفق عليه.

الإيمان اصطلاحًا:

تحـدَّثَ عن الإيمان اصطلاحًا كثيرٌ من أهل العلم، واختُلِف فيه على أربع فِرَقٍ:

الأولى: تقول: إن الإيمان فِعْلُ القلبِ فقط، أي: تصديق الرسول ﷺ - في كل ماعُلِمَ مَجيئُهُ به بالضرورة - تصديقًا جازمًا مُطلَقًا.

الثانية: تقول: إن الإيمانَ عَمَلٌ (إقرارٌ) باللسان فقط، بشرط حصول المعرفـة بالقلـب، فـإنْ لم تحصُـلْ كان صاحبُ ذلـك مُؤمِنَ الظاهـرِ كافرَ السَّريرةِ.

الثالثة: تقول: إن الإيمان عمل القلب واللسان، أي: الاعتقاد الجازم والإقرار بالشهادتين.

الرابعة: تقول: إن الإيمان فِعْلُ القلب واللسان وسائرِ الجوارح، وقيل في معناه: تصديقٌ بالجَنانِ [القلب]، وإقرارٌ باللسان، وعملٌ بالأركان.

وقيل أيضًا:

أ - المعرفـةُ إيمانٌ كاملٌ، وهي الأصل، ثـم بعدَ ذلك كلُّ طاعة إيمانٌ عـلى حِدَة، وكذلك الجُحُودُ وإنكارُ القلـب كُفْرٌ، ثم بعدَ ذلك كلُّ معصيةٍ كُفرٌ على حِدَة.

ب – الإيمانُ اسمٌ للطاعات كُلِّها، فرائضِها ونوافِلِها، وهي بجُملَتِها إيمانٌ واحدٌ، وتَرْكُ الفرائض وَحْدَهُ هو الذي يُنْقِصُ الإيمانَ، بخلاف النوافل.

بماذا نؤمن:

جاء في حديث سيدنا جبريل المشهور بيانٌ لأصل الإيمان الذي هو التصديق الباطن، وفيه تفصيلٌ لما يجب أن نؤمن به: بالله، وملائكته، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليومِ الآخِرِ، والقَدَرِ خَيرِهِ وشَرِّه. رواه البخاري ومسلم. وهي ما اصطُلِحَ عليها بأركان الإيمان الستة.

استعمالات اسم الإيمان في الشرع:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «اسمُ الإيمان تارةً يُذكَرُ مُفرَدًا غيرَ مقرون باسم الإسلام ولا باسم العمل الصالح ولا غيرهما، وتارةً يُذْكَرُ مقرونًا، إما بالإسلام كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ..﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وغيرها، وإمَّا مَقرُونًا مع العمل الصالح كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ..﴾ [البروج: ١١]، وإما مقرونًا بالذين أوتوا العلم كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ..﴾ [الروم: ٥٦].

الإيمان المطلق مُستَلزِمٌ للأعمال:

الإيمان المُطلَقُ مُستَلزِمٌ للأعمالِ، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا

يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [السجدة: ١٥]، فنَفَى الإيمان عن غير هؤلاء، فمن كان إذا ذُكِّرَ بالقرآن لا يفعل ما فرضه الله عليه من السجود لَمْ يكنْ من المؤمنين، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله عزَّ مِن قائل: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ..﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقوله سبحانه: ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [المائدة: ٨١]، وقد بيَّن سبحانه في هذه الآيات أن الإيمان له لوازم وله أضداد موجودة، ومن أضداده مُوادَّةُ من حَادَّ اللهَ ورسولَهُ، ومن هذا الباب قولُه ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ». رواه البخاري ومسلم، وقوله عليه الصلاة والسلام: «لَا يُؤْمِنُ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ». [أي: شُرورَه] متفق عليه، وأشباه هذا كثير.

ورود اسم الإيمان في القرآن:

لقد حدّدت موسوعةُ نَضْرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم ٤٣٧ آية وردت فيها كلمة أو معنى الإيمان بكل أوصافها ومعانيها كما ذُكِرت في القرآن الكريم.

وقد ورد اسم الإيمان في التنزيل العزيز على أوجه، منها:

الأول: بمعنى إقرار اللسان، كما في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ... ﴾ [المنافقون: ٣]، أي: آمنوا باللسان وكفروا بالجَنَان [القلب].

الثاني: بمعنى التصديق، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة: ٧].

الثالث: بمعنى التوحيد وكلمة الإيمان، كما في قوله تعالى: ﴿..وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ..﴾ [المائدة: ٥]، أي: يكفر بكلمة التوحيد.

الرابع: إيمان يخالطه شرك، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، فهُم مؤمنون موحِّدون توحيدَ الربوبية، مشركون في توحيد الألوهية والأسماء والصفات.

الخامس: بمعنى الصلاة، كما في قوله تعالى: ﴿..وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ..﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: صلاتكم.

السادس: قال أبو القاسم الراغب: «إن الإيمان يستعمل تارة في القرآن اسمًا للشريعة التي جاء بها محمد ﷺ، ويوصَف به كلُّ مَن دخل في شريعته مُقِرًّا بالله وبنبوَّته، وتارة يستعمل على سبيل المدح، ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق [تصديق] بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح، ويقال لكل من الاعتقاد والقول الصادق والعمل الصالح: إيمان».

السابع: ذُكر عن بعض المفسرين أن الإيمان هو الدعاء، ومثَّل له بقوله تعالى: ﴿..إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ..﴾ [يونس: ٩٨]، أي: دَعَوا.

الأحاديث النبوية الواردة في الإيمان:

لقد ورد أكثر من ٩٨ حديثًا شريفًا في موسوعة «نضرة النعيم في مكارم الرسول الكريم»، منها:

(١) عن سفيان بن عبدالله الثقفي رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا بَعْدَكَ، قال: «قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ»، وفي رواية أخرى: «وَاسْتَقِمْ». رواه مسلم.

(٢) عن صهيب الرومي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيرٌ، ولَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلمُؤمِنِ، إِنْ أَصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ وَكَانَ خَيرًا لَهُ، وإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيرًا لَهُ» رواه مسلم.

(٣) عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤمِنُ لِلمُؤمِنِ كَالبُنْيَانِ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»، وشبَّكَ بين أصابعه. رواه الترمذي وأبو داود.

(٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِين إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وخِيارُهُمْ خِيَارُهُمْ لِنِسَائِهِمْ». أخرجه الترمذي وأبو داود وأحمد والحاكم.

(٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ». [بوائقه: أذاه] رواه مسلم.

(٦) عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: «مَا يُصِيبُ الْمُؤمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا سَقَمٍ وَلَا حَزَنٍ حَتَّى الهَمِّ يَهُمُّهُ إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ». رواه مسلم [الوصب: الوجع والألم، السقم: المرض، النصب: التعب، الحزن: الغم والكدر].

(٧) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيسَ المُؤمِنُ بالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ ولَا الفَاحِشِ ولَا البَذِيءِ». رواه الترمذي.

[الطعان: الذي يوقع بين الناس بالذمِّ والغيبة. اللعان: الذي يشتم، وأصل اللعن الطرد والإبعاد. الفاحش: الذي يفحش في كلامه. البذيء: من البذاءة، وهي القول الرديء].

الإسلام لغة:

الإسلام مصدر (أسلم)، وهو مأخوذ من مادة (س ل م) التي تدل - في الغالب - على الصحة والعافية، فالسلامة أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى.

والإسلام: هو الاستسلام، أي: الانقياد.

الإسلام اصطلاحًا:

إظهار القبول والخضوع لما أتى به محمدٌ صلى الله عليه وسلم، وقيل: إظهار الشريعة والتزام ما أتى به النبيُّ ﷺ.

والإسلام هو منهج ربانيٌّ عظيم متكامل، جاء لإخراج الناس من ظلمات الكفر والشرك والجهل إلى نور الإسلام والإيمان والعلم، وللإسلام قواعد ومبادئ وأُسُسٌ لابدَّ من الالتزام، وهذه المبادئ هي أركان الإسلام، وعدم الالتزام بأحد هذه الأركان يعدُّ خطرًا عظيمًا على الدين والعقيدة وصِحة الإسلام.

وقيل: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخُلوص من الشرك.

وقيل: هو أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعتَ إليه سبيلًا، وهذا ما جاء في حديث سيدنا جبريل عليه السلام واصطُلح عليه بـ (أركان الإسلام الخمسة).

الإسلام في القرآن الكريم:

لقد ذكرت موسوعة نضرة النعيم أنه ورد لفظ الإسلام والمسلمين والمسلمات في حوالي ٥٠ آية في سور القرآن الكريم.

وقال ابن الجوزي: الإسلام في القرآن الكريم على خمسة أوجه:

أحدها: اسم للدين الذي نَدِينُ به، ومنه قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ...﴾ [آل عمران: ١٩].

والثاني: التوحيد، ومنه قوله تعالى: ﴿..يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ ..﴾ [المائدة: ٤٤].

والثالث: إخلاص العبادة لله، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

والرابع: الاستسلام، ومنه قوله عز من قائل: ﴿..وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

والخامس: الإقرار باللسان، ومنه قوله تعالى: ﴿..قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا..﴾ [الحجرات: ١٤].

ويمكـن أن يُضـاف إلى ذلك وجه سـادس: وهو الإقرار باللسـان والعمل بالأركان، كما ذكر بعض العلماء.

الأحاديث الشريفة الواردة في الإسلام:

لقد ورد حوالي (٨١) حديثًا عن الإسلام والمسلم في موسوعة نضرة النعيم، منها:

(١) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلًا سأل النبي ﷺ: أيُّ الإسلام خَيْرٌ، قال: «تُطْعِمُ الطعامَ، وتَقْرَأُ السَّلامَ على مَنْ عَرَفْتَ ومَنْ لَمْ تَعرِفْ». رواه البخاري.

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «حَقٌّ على كُلِّ مُسلِمٍ أَنْ يَغتَسِلَ في كُلِّ سَبْعَةِ أَيامٍ، يَغْسِلُ رَأسَهُ وجَسَدَهُ». رواه البخاري.

(٣) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ ورُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتاهُ». رواه مسلم، كفافًا: أي: ما يكفيه ولا يزيد عنه.

(٤) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ الإسلامِ أفضلُ، قال: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ». رواه البخاري ومسلم.

(٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَبَاغَضُوا، ولَا تَحَاسَدُوا، ولَا تَدابَرُوا، وكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوانًا، ولَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوقَ ثَلاثِ لَيَالٍ». رواه البخاري ومسلم، التدابُر: المُعاداة، وقيل: المقاطعة؛ لأن كلَّ واحدٍ يُوَلِّي صاحِبَهُ دُبُرَهُ [ظَهْره].

(٦) عن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ». رواه أحمد والترمذي.

الفرق بين الإسلام والإيمان:

أعمالُ الإسلامِ يراها الناسُ، وما في القلب مِن تصديقٍ ومعرفةٍ وحُبٍّ وخشيةٍ ورجاء فهذا باطنٌ، لكنْ له لوازمُ تدلُّ عليه، مِصداقُ ذلك ما جاء في حديث عبدالله بن عمرو وأبي هريرة جميعًا أن النبي ﷺ قال: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ ويَدِهِ، والْمُؤمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوالِهِمْ»، فسَّرَ المسلمَ بأمرٍ ظاهرٍ، وهو سلامةُ الناسِ منه، وفسَّر المُؤمنَ بأمرٍ باطنٍ، وهو أنْ يَأمَنُوهُ على دِمائِهِم وأموالهم، وهذه الصِّفةُ أعلى مِن تلك، فإنَّ مَنْ كان مَأمُونًا سَلِمَ الناسُ منه، وليسَ كُلُّ مَنْ سلِمُوا منه يكونُ مَأمُونًا؛ فقَدْ يَتْرُكُ أَذاهُمْ وهُمْ لا يَأْمَنُونَ إليه خوفًا أنْ يكونَ تَرَكَ أَذَاهُم لِرَغبةٍ أو رَهبةٍ، لا لِإيمانٍ في قَلْبِه، ويؤَكِّدُ هذا أيضًا ما جاءَ في حديثِ عمرو بن عَبَسَةَ أن رجُلًا قال للنبي ﷺ: ما الإسلام؟ قال: «إِطْعَامُ الطعامِ، وَلِينُ الْكَلَامِ»، قال: فما الإيمان؟ قال: «السَّمَاحَةُ والصَّبْرُ»، حيث إن إطعام الطعام عمل ظاهر وكذلك لين الكلام، وأما السماحة والصبر فخُلُقَانِ في النفس.

وقال الغزالي – رحمه الله –: اختلفوا في أن (الإسلام) هو (الإيمان) أو غيره؟ وإنْ كان غيرَه فهل هو منفصِلٌ عنه يُوجَدُ دُونَهُ، أو مرتبطٌ به يُلازِمُهُ؟ قِيلَ: إنهما شيءٌ واحدٌ، وقيل: إنهما شيئان لا يتواصلان، وقيل: إنهما شيئان، ولكن يرتبط أحدهما بالآخر، والحق أن في هذا ثلاثة مباحث:

المبحث الأول – لغوي:

والحق فيه أن الإيمان عبارة عن التصديق، قال الله تعالى: ﴿..وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا..﴾ [يوسف: ١٧]، أي بمصدِّقٍ، والإسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالإذعان والانقياد وتَرْك التمرُّد والإباء والعِناد، وللتصديق محلٌّ خاصٌّ وهو القلب، فموجب اللغة أن الإسلام أعمّ والإيمان أخصّ، فإذن: كلُّ تصديقٍ تسليمٌ وليس كلُّ تسليمٍ تصديقًا.

المبحث الثاني – عن إطلاق الشرع:

والحق فيه أن الشرع قد ورد باستعمالهما على سبيل الاختلاف والتداخل، أما الترادف ففي قوله تعالى: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٦﴾ [الذاريات]، وقال ﷺ: «بُنِيَ الْإِسلامُ عَلَى خَمْسٍ...»، وسُئِل رسولُ الله ﷺ مرَّةً عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس نفسِها. وأما الاختلاف فقوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا..﴾ [الحجرات: ١٤]، ومعناه: استسلمنا في الظاهر، فأراد بالإيمان هنا التصديق بالقلب فقط، وبالإسلام الاستسلام ظاهرًا باللسان والجوارح، وفي حديث جبريل عليه السلام لَمَّا سأل الرسولَ عن الإيمان، فقال: «أنْ تُؤمِنَ باللهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ واليَومِ الآخِرِ وبالبَعثِ بعدَ الموتِ وبالحسابِ وبالقدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّه»، قال: فما الإسلام؟ فأجاب بذِكْرِ الخِصَال الخَمس (وهي الشهادتان، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجّ البيت).

المبحث الثالث – عن الحكم الشرعي:

للإسلام والإيمان حكمان: أخروي ودنيوي، أما الأخروي فهو الإبعاد عن النار، أو عدم الخلود فيها، وأما الدنيوي فإنه يثبت بالإقرار

بالشهادتين؛ لأن الإيمان بالكلمة (الإسلام) فإذا قالها حكمنا بإيمانه اتفاقًا بلا خلاف، وتطبَّقُ عليه حينئذٍ أحكامُ المسلمين من حيث الدفن في مقابرهم والتزام مواريثهم ... إلخ.

وبهذا نكون قد عرَّفْنا الإيمان والإسلام، وبيَّنَّا الفرق بينهما حسب ما ورد عن العلماء الأفاضل، ومن ثَمَّ ننتقل في الفصول التالية إلى تفسير وتدبُّر وفهم سورة (المؤمنون) التي ذكرتْ الكثير من الخصال والخواص التي يتوجب على المسلم أن يعتقد بها ويمارسها ليتصف بوصف (المؤمن)، وقد ذكرنا في هذا الكتاب:

* المقدمة: [وهي ما سبق] من موسوعة نضرة النعيم في مكارم الرسول الكريم ﷺ للدكتور عبدالرحمن الملحم، والدكتور صالح بن حميد وغيرهما من العلماء.
* تفسير معاني الكلمات وبعض الاستنباطات من هداية الآيات من أيسر التفاسير لكلام العليّ القدير ـ للشيخ أبو بكر الجزائري رحمه الله.
* التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ـ للشيخ محمد الغزالي رحمه الله.
* التفسير المفصل ـ من خواطر الدكتور محمد راتب النابلسي حفظه الله (بتصرف).

وقد راجع المادة العلمية لهذا الكتاب وضَبَطَهُ لُغويًّا فضيلة الشيخ محمد عماد قلب اللوز حفظه الله، وهو مدرس متخصص في الشريعة واللغة العربية، ونرجوا من الله العليِّ القدير أن نكون قد وُفِّقْنا في هذا العرض، كما نرجوا من الله القبول، والحمد لله رب العالمين.

سورة المُؤمِنُون

آياتها:

سورة «المؤمنون» مكِّيَّة، وعدد آياتها مائة وثمانية وعشرون آية، وهي السورة رقم ٢٣ في ترتيب المصحف الشريف بعد سورة الحج، وموقعها في الجزء الثامن عشر في المصحف الشريف.

تسميتها:

ذكر العلماء أنها سميت بهذا الاسم الجليل «المُؤْمِنُونَ» لأنها ابتدأت بذكر صفاتهم التي استحقوا بها الفلاح في الدنيا والآخرة.

وقد جرَت على ألسنة بعض العلماء بسورة «قد أفلح» أو سورة «الفلاح».

سبب نزولها:

القرآن منه ما نزل لسبب مذكور، ومنه ما نزل لغير سبب معلوم لنا، ولا يوجد سبب محقَّق لنزول سورة «المُؤْمِنُونَ»، وقد ورد في سبب نزول بعض آياتها أخبار ضعَّفها بعض أهل العلم منها ما ذكره ابن كثير:

قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كان إذا نزل الوحي على رسول الله ﷺ يُسمَعُ عند وجهه دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النحل، فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه ﷺ، فقال: «اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا، وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا، وَأَعْطِنَا وَلَا تَحْرِمْنَا، وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَينَا، وَأَرْضِنَا وَارْضَ عَنَّا»، ثم قال: «لَقَدْ أُنزِلَتْ علينا عَشْرُ آياتٍ مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الجنةَ»، ثم قرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ إلى عشر آيات، رواه الترمذي الحاكم وغيرهما.

فضل خواتيم سورة المؤمنون:

قيل: إن في قراءتها على المُصاب تساعده على البُرْءِ من المرض؛ لحديث أبي يعلى في مُسْنَدِه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أَنَّهُ قَرَأَ فِي أُذُنِ مُبْتَلًى، فَأَفَاقَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا قَرَأْتَ فِي أُذُنِهِ؟» قَالَ: قَرَأْتُ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ..﴾ [سورة المؤمنون: ١١٥] حَتَّى فَرَغَ من السُّورَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا مُوقِنًا قَرَأَ بِهَا عَلَى جَبَلٍ لَزَالَ»، وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

محاور السورة:

هي من السور التي تبين صفات المؤمنين، وتعالج أصول الدين والبعث والرسالة والتوحيد، وتشمل ما يلي:

١. صفات المؤمنين التي حازوا بها الفَلَاحَ.

٢. عرض أطوار الحياة الإنسانية.

٣. بيان حقيقة الإيمان وإفراد العبودية لله وحده.

٤. بيان غفلة كثير من الخلق عند ابتلاء الله لهم بالنعمة، واغترارهم بما هم فيه من مَتاع.

٥. لفت نظر الإنسان إلى الاعتبار بخلق السماوات، وإلى الاعتبار بمخلوقات الله تعالى التي أصلها الماء الذي به حياة العالم من إنسان وحيوان ونبات.

٦. التذكير بدعوة الرسل للهدى والرشاد والعمل الصالح.

٧. الدعوة إلى أكل الطيب الحلال، ونبذ الخبيث الحرام كالربا.

٨. استنكار القرآن لموقف المشركين من الرسل وهم يعرفونهم ولا ينكرونهم.

٩. أمر النبي ﷺ أن يغض الطرف عن سوء معاملة المشركين له ولأصحابه بدفعها بالتي هي أحسن، وجاء الأمر بالتعوذ من وسوسة الشياطين وحضورهم.

١٠. بيان مشهد من مشاهد القيامة، يلقى فيه المكذبون عاقبةَ التكذيب.

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن
سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ
خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا
آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ
لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ
خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

معاني الكلمات:

١- أَفْلَحَ: فاز.

٢- خَٰشِعُونَ: ساكنون مُطمَئِنُّون لا يتلفَّتون بعين ولا قلب وهم بين يدَي ربِّهم.

٣- عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ: اللغو: كلُّ ما لا يرضاه الله من قول وعمل وتفكير، معرضون: أي منصرفون عنه.

٤- فَٰعِلُونَ: مُؤَدُّون.

٥- حَٰفِظُونَ: صائنون لها ولا يكشفونها.

٦- مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ: من الجواري، (لا وجود لذلك في العصر الحاضر).

٦- غَيْرُ مَلُومِينَ: من اللوم والعتب، أي: غيرُ مؤاخَذين.

٧- ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ: طلب غير الحلال.

٧- ٱلْعَادُونَ: الظالمون المعتدون لحدود الشرع.

٨- لِأَمَٰنَٰتِهِمْ: ما اؤتُمِنُوا عليه من قِيَم وممتلَكات.

٨- وَعَهْدِهِمْ: من العهد، أي: ما تم الاتفاق عليه أو الوصية به.

٨- رَٰعُونَ: حافظون، يؤدونها كما اتُّفِق عليها.

٩- يُحَافِظُونَ: على أداء الصلوات في أوقاتها، ولا يؤخرونها.

١٠- ٱلْوَٰرِثُونَ: الذين يأخذون نصيبًا من الجنة حُرِم منه مَن كفروا.

١١- ٱلْفِرْدَوْسَ: أعلى درجة في الجنة.

١٢- سُلَٰلَةٍ: ما يُسْتَلُّ من الشيء، والمراد بها هنا ما اسْتُلَّ من الطين لخلق آدم.

١٣- نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ: النطفة ماء الرجُل، والقرار المكين: الرحِم المَصُون.

١٤- ٱلْعَلَقَةَ: طَوْر من أطوار تكوين الجنين تشبه الدم المتجمد.

١٤- مُضْغَةً: كشكل اللحم إذا مُضِغَ.

١٤- خَلْقًا ءَاخَرَ: أي: بعد نفخ الروح فيها صارت إنسانًا.

١٤- أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ: أفضل الصانعين، فالله يصنع، والناس يصنعون، وشتان بين صنع الخالق وصنع المخلوق.

١٦- تُبْعَثُونَ: تُحْيَون يوم القيامة للحشر والحساب.

١٧- سَبْعَ طَرَآئِقَ: المراد بالطرائق: المسارات والأفلاك.

مـن هـدايـة الآيـات

الآية: ١-	وَعْدُ اللهِ للمؤمنين بدخول الجنة.
الآية: ٢-	أهمية الخشوع في الصلاة.
الآية: ٣-	ضرورة الإعراض عن كل قول وعمل وفكر ليس لله تعالى، ويدخل في ذلك الاحتفالات الماجنة والأعراس غير المنضبطة.
الآية: ٤-	وجوب أداء الزكاة كل سنة.
الآية: ٥-٦-٧	وجوب حفظ الفرج عن كلِّ ما حرَّم اللهُ، ويدخل في التحريم نكاحُ المتعة.
الآية: ٨-	وجوب حفظ الأمانات بين العباد، على اختلاف أنواعها، وهي كثيرة.
الآية: ٨-	وجوب الوفاء بالعهود بين العبد والله، وبين العبد والناس.
الآية: ٩-	وجوب المحافظة على أداء الصلوات المفروضة في أوقاتها.
الآية:١٠-١١-	يفهَم منهما أن الإنسان يرث في الجنة ما كان قد تركه لله في الدنيا، فلا تنبغي الحسرة والندم على ما فقد المؤمنُ في الحياة الدنيا من متاع نتيجةَ إيمانه.
الآية:١٢-١٣-١٤	بيان مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته في خلقه.
الآية:١٢-١٣-١٤	بيان خلق الإنسان، والأطوار التي يمر بها، وهي حقيقة علمية ثبتت حديثًا.
الآية: ١٥-	بيان مآل الإنسان بعد خلقه وحياته في الدنيا، وهو الموت لا محالة.
الآية: ١٦-	تقرير عقيدة البعث من القبور (عند القيامة) والحساب والجزاء التي أنكرها الملاحدة والمشركون.
الآية: ١٧-	بيان قدرة الله تعالى وعظمته في خلق السماوات السبع.
الآية: ١٧-	بيان عدم غفلة الله سبحانه عن سائر خلقه، وكلُّ مخلوقٍ مسخَّرٌ لِما خُلِقَ له، والكلُّ في رعاية الله سبحانه.

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ
بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ
لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن
طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى
ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ
مَلَٰٓئِكَةً ۖ مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى
بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن
كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ
مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

معاني الكلمات:

١٨- بِقَدَرٍ: بمقدار معين لا يزيد ولا ينقص.

١٨- فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ: خَزَنَّاه في الآبار وباطن الجبال.

٢٠- طُورِ سَيْنَآءَ: جبل في مصر.

٢٠- تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ: أي: تُنْبِتُ ثمرًا [الزيتون] فيه الدُّهن [الزيت].

٢٠- وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ: يغمِسُ الآكل فيه اللقمةَ ويأكلها.

٢١- فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً: الأنعام: الإبل والبقر والغنم، والعبرة فيها تَحْصُل لمَنْ تأمَّل خَلْقَها ومنافعَها.

٢١- مِّمَّا فِى بُطُونِهَا: أي: من الحليب [اللبن].

٢١- مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ: كالوبر والصوف والركوب.

٢١- وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ: أي: من لحومها.

٢٢- ٱلْفُلْكِ: السُّفُن.

٢٢- تُحْمَلُونَ: تركبون الإبلَ في البَرِّ، وتركبون السُّفُنَ في البحر.

٢٣- ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ: وحِّدوه بالعبادة؛ إذ ليس لكم إلهٌ غيرُه.

٢٣- أَفَلَا تَتَّقُونَ: ألا تخافون غضبه وعقابه إن عبدتم غيره.

٢٤- ٱلْمَلَؤُا۟: أعيانُ البَلَدِ وكُبَرَاءُ القوم.

٢٤- مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ: أي: ما نوحٌ إلا بَشَرٌ مثلُكم؛ فكيف تطيعونه بقبول ما يدعوكم إليه.

٢٤- أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ: أي: أن يكون سيِّدًا عليكم، ويصبح آمرًا ناهيًا بينكم.

٢٤- وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً: أي: لو شاء اللهُ إرسالَ رسولٍ لأنزلَ ملائكةً رُسُلًا.

٢٤- ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ: أجدادنا السابقين.

٢٥- بِهِۦ جِنَّةٌ: مصابٌ بمَسٍّ مِن جُنُون.

٢٥- فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ: لا تسمعوا له، ولا تطيعوه، وانتظروا بعض الوقت لعله يهلك أو يشفى.

٢٦- ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ: أي: أَهْلِكْهُم بسبب تكذيبهم إياي، وانصرني عليهم.

٢٧- فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ: أعلمناه بطريق الوحي أن اصنع السفينة.

٢٧- بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا: بمرأى منا وحِفْظٍ، وبتعليمنا إياكَ صُنْعَها.

٢٧- جَآءَ أَمْرُنَا: نفذ أمر الله تعالى بإغراق المكان.

٢٧- وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ: تنور الخبَّازِ فارَ منه الماءُ، وكانت هذه علامة بداية الطوفان.

٢٧- فَٱسْلُكْ فِيهَا: أي: أَدْخِلْ في السفينة.

٢٧- وَأَهْلَكَ: أولادك ونساءك وأقرباءك.

٢٧- سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ: أي: سبق العِلْمُ والحُكْمُ عليه من الله أنه هَالِكٌ مع الكافرين.

٢٧- وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟: لا تكلِّمْني في شأن الظالمين؛ فإني حكمتُ وقضَيتُ بإغراقهم.

مـن هدايـة الآيـات

الآية: ١٨-	بيان فضلِ الله تعالى في إنزال الماء بقَدَرٍ وإسكانِهِ في الأرض وتسخيرِهِ للخَلْق بتَفجير الينابيع والأنهار، مما يوجب الشكرَ لله تعالى، وهو سبحانه قادرٌ على تجفيف منابعه ومخازنه كما نشاهد في بعض الصحاري.
الآية: ٢٠-	بيان منافع زيت الزيتون؛ فهو يُستعمَل للدَّهن والأكل وللإنارة.
الآية: ٢١-	فضل الله على العباد في خلق الأنعام للانتفاع منها في جوانب كثيرة.
الآية: ٢٢-	سخّر اللهُ السُّفُنَ للركوب عليها والتنقل والسفر وحملِ البضائع من إقليم إلى إقليم، تجري في البحار والأنهار.
الآية:١٧-٢٢-	وجوب شكر الله تعالى على إنعامه علينا بخيراته الكثيرة، وذلك بالإيمان به وعبادته وتوحيده.
الآية: ٢٣-	تقريرُ التوحيدِ بدليل ذكرِ دعوةِ جميعِ الرُّسُلِ أقوامَهم إليه.
الآية: ٢٤-	بيان سُنَّةٍ من سُنَنِ البَشَرِ، وهي أن دعوةَ الحقِّ أولُ مَنْ يرُدُّها هم كُبَرَاءُ القوم من أهل الكفر.
الآية: ٢٥-	بيانُ طريقةِ ردِّ الظالمين لدعوة الحقِّ باتهام الدُّعاة بما هُم بُرَآءُ منه كالجنون والعمالة للأعداء ولكسب المال والمناصب وغيرها من الاتهامات.
الآية: ٢٦-	مشروعية الدعاء للنصر على الظالمين.
الآية: ٢٣-٢٦-	إثباتُ النبوَّةِ المحمَّديةِ بذِكْره ﷺ أخبار الغَيْب التي لا تُعْلَمُ إلا من طريق الوحي.
الآية: ٢٧-	إثبات أن الوحي الإلهي نزل على جميع الأنبياء والرسل.
الآية: ٢٧-	بيان عاقبة الظلم بكل أنواعه، وأنه هلاكٌ للظالمين.
الآية: ٢٧-٢٩-	تقرير حادثة الطوفان المعروفة لدى المؤرِّخين.
الآية: ٢٧-٢٩-	ذِكْرُ قصةِ سيدنا نوح بما فيها من العِظَات والعِبَر لمن يكذب الرسلَ والنبيين.
ملحوظة لطيفة:	يستحب قول: (بسم الله، والحمد لله، سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كُنَّا له مُقْرنين، وإنَّا إلى ربِّنا لَمُنْقلبون) عند ركوب الدابة والسيارة والطيارة أو السفينة ونحوها.

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا
مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ
ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا
مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا
تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ
﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ
﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا
ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ
ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾

معاني الكلمات:

٢٨- ٱسْتَوَيْتَ: أي: ركبتَ واستقررت على متن السفينة.

٢٩- وَقُل رَّبِّ: أُدعُني قائلًا: يارَبُّ.

٢٩- مُنزَلًا: مَوْضِعًا.

٣٠- إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ: دلائل وعِبَر.

٣٠- لَمُبْتَلِينَ: لَمُخْتَبِرين.

٣١- أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ: أي: خلقنا من بعد قوم نوحٍ الهالكين قومًا آخرين هم عادٌ وقومُ هُود.

٣٢- رَسُولًا مِّنْهُمْ: هو هود عليه السلام.

٣٢- ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ: اعبدوا الله وَحْدَهُ.

٣٣- وَأَتْرَفْنَٰهُمْ: أنعمْنا عليهم بسَعَةِ العَيشِ ورَغَدِه.

٣٥- مُّخْرَجُونَ: أي: أحياء من قبوركم بعد موتكم.

٣٦- هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ: بَعُدَ بُعدًا كبيرًا وُقوعُ ما يَعِدُكم.

٣٦- تُوعَدُونَ: أي: ما يَعِدُكم به هودٌ.

٣٧- إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا: وليس وراء حياتنا هذه حياةٌ أُخرى.

٣٧- نَمُوتُ وَنَحْيَا: أي: جيل يموت وجيل يحيا.

٣٧- بِمَبْعُوثِينَ: يوم القيامة للحساب والجزاء.

٣٨- إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ: أي: ما هودٌ إلا رجلٌ افترى على الله كذبًا، أي: كذب على الله تعالى.

٤٠- عَمَّا قَلِيلٍ: أي: بعد قليل من الزمن.

٤٠- لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ: لَيَصِيرُنَّ نادمين على كُفرهم وتكذيبهم.

٤١- فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ: أي: صيحة العذاب والهلاك، أو الرياح العاصفة مع الأصوات.

٤١- فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً: الغثاء ما يجمعه الوادي من العيدان والنبات اليابس، أي: جعلناهم أمواتًا لا فائدة منهم.

٤١- فَبُعْدًا: أي: هلاكًا لهم.

٤٢- ثُمَّ أَنشَأْنَا: أي: أوجدنا من بعدهم أقوامًا آخرين كقوم صالح وإبراهيم ولوط وشعيب.

مـن هـدايـة الآيـات

الآية: ٢٨-	يجب حَمْدُ وشُكْرُ الله تعالى وَحْدَهُ عند كلِّ نعمة.
الآية: ٢٩-	ضرورة الدعاءِ بإستمرار وسؤالِ الله تعالى ما العَبْدُ في حاجة إليه.
الآية: ٣٠-	إنَّ اللهَ يختبِرُ عبادَه بالخير والشرِّ؛ ليَمِيزَ الكافرَ من المؤمن، والمطيعَ من العاصي، ثم يتم الجزاء حسب ذلك.
الآية: ٣١-	في حالة الفجور وكثرة المعاصي قد يستبدل الله بمشيئته قومًا بآخرين، وبطُرُقٍ لا يعلمها إلا اللهُ تعالى.
الآية: ٣٢-	بيان سُنَّة الله تعالى في إرسال الرسل، وأنَّ أوَّلَ ما يبتدئون به دَعوَتَهُم توحيد الله تعالى.
الآية: ٣٣-	الله سبحانه وتعالى يستدرج الأقوامَ الخاسرين بكثرة الإنعام عليهم.
الآية: ٣٣-	معظم أهل الكفر لا يَصدُرُ عنهم إلا ما هو شرٌّ وباطل؛ لفساد قلوبهم، وإن كان ظاهرُهم غيرَ ذلك.
الآية: ٣٣-	الترف يسبب كثيرًا من المفاسد والشرور؛ ولهذا يجب أن يُحذَرَ منه بالاقتصاد.
الآية: ٣٧-	تقرير عقيدة البعث والجزاء وإثباتها، وهي ما ينكره الملاحدة هروبًا من الاستقامة حتى أيامِنا هذه.
الآية: ٣٨-	معظم الأنبياء كُذِّبُوا من أقوامهم، ولكنهم - بصبرهم وإصرارهم - نجحوا في دعوتهم.
الآية: ٣٨-	عامة المشركين يعترضون أنْ كيف يكون الرسولُ رجلًا من البشر؛ دفعًا للحق وعدمَ قبولٍ له.
الآية: ٣٩-	استجابة اللهِ دعوةَ المظلومين من عباده، لا سيما إن كانوا عبادًا صالحين.
الآية: ٤٠-	تقرير أن الندامة مصيرُ من كذَّب برسل الله أو افترى عليهم في ساعة لا ينفع فيها الندم (الآخرة).
الآية: ٤١-	الظلمُ ظلماتٌ يوم القيامة، والقوم الظالمون سيهلكون لا محالة، إن لم يكن في الدنيا ففي الآخرة حتمًا.
الآية: ٤١-٤٢-٤٣	إن كل الأمم الظالمة هالكة لا محالة، مهما وصلت إليه من العلم والحضارة والتكنولوجيا.

مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۚ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾

معاني الكلمات:

٤٣- مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ: فلِوُجودِ كُلِّ أُمَّة أو هلاكِها وقتٌ معلوم لا يتخلَّف.

٤٤- تَتْرَا: أي: يتبع بعضُها بعضًا.

٤٤- وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ: أي: أهلكناهم وتركناهم قصصًا تُقَصُّ وأخبارًا تُتَناقَلُ.

٤٥- بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ: الآيات كالعصا، واليد البيضاء، والحيّة، والسلطان المبين: البراهين والحُجَج البيِّنةُ والدالَّةُ على وحدانية الله تعالى.

٤٦- عَالِينَ: أي: مستكبرين مُسْتَعْلين على أهل تلك البلاد قهرًا واستبدادًا.

٤٧- وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ: مطيعون ذليلون، نستخدمهم فيما نشاء وكيفما نشاء.

٤٩- وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ: أي: التوراة.

٥٠- آيَةً: أي: حجة وبرهانًا على وجود الله وقدرته وعلمه ووجوب توحيده.

٥٠- إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ: إلى مكان مُرتفع ذي استقرار وفيه ماء جارٍ عذبٌ وفواكه وخضرة.

٥١- الطَّيِّبَاتِ: الحلال.

٥١- وَاعْمَلُوا صَالِحًا: بأداء الفرائض والنوافل والصدقات وإعمار الأرض بما يرضي اللهَ.

٥٢- وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ: أي: مِلَّتكم، وهي الإسلام لله تعالى.

٥٢- فَاتَّقُونِ: بامتثال أمري واجتناب نهيي.

٥٣- فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ: أي: اختلفوا في دينهم، فأصبحوا طوائف وفِرَقًا.

٥٣- زُبُرًا: فِرَقًا ومجموعات.

٥٣- حِزْبٍ: مجموعة

٥٣- فَرِحُونَ: مسرورون ظانُّون أنهم على الحق وَحْدَهُم.

٥٤- غَمْرَتِهِمْ: ضلالتهم.

٥٦- نُسَارِعُ لَهُمْ: أي: نُعَجِّل.

٥٦- بَل لَّا يَشْعُرُونَ: أن ذلك استدراجٌ منَّا لهم.

٥٧- خَشْيَةِ: رَهْبَة.

٥٧- مُّشْفِقُونَ: أي: خائفون.

٥٨- بِآيَاتِ رَبِّهِمْ: العلامات والمعجزات وكمال الخَلْق.

٥٩- لَا يُشْرِكُونَ: لا يعبدون مع الله آخرين.

من هداية الآيات

الآية: ٤٣-	تقرير أنَّ الآجال (الأعمار) للأفراد أو الأمم لا تتقدم ولا تتأخر، وهي سُنَّةٌ من سُنَنِ الله تعالى في خَلْقه.
الآية: ٤٤-	تقرير حقيقة تاريخية، وهي أن الأمم السابقة كلَّها هلكتْ لكفرها بالله وتكذيبها للرسل، ولم ينجُ منها عند نزول العذاب بها إلا المؤمنون.
الآية: ٤٤-	أن الله تعالى لا يهلك أمة محمد ﷺ هلاكًا عامًّا، بل تبقى مدى الحياة، لتقوم بها الحجةُ لله تعالى على الأمم والشعوب المعاصرة لها.
الآية: ٤٥-	تقرير نبوَّةِ كلٍّ من سيدنا موسى وأخيه هارون عليهما السلام، وتأييدهما بالمعجزات.
الآية: ٤٦-	التنديد بالاستكبار والعلوِّ والظلم، لأنها علة مانعة من قبول الحق.
الآية: ٤٨-	مظاهر قدرة الله وعلمه ورحمته في إرسال الرسل بالآيات وفي إهلاك المكذبين.
الآية: ٤٨-	تقرير هلاك كل من كذب بالرسل والأديان السماوية، سواءٌ في الدنيا أو الآخرة.
الآية: ٤٩-	تقرير إنزال التوراة على سيدنا موسى عليه السلام.
الآية: ٥٠-	آيةُ ولادةِ عيسى من غيرِ أبٍ مُقرِّرَةٌ قدرةَ الله تعالى على إحياء الموتى، وبعثِ الناس من قبورهم للحساب والجزاءَ.
الآية: ٥١-	وجوب الأكل من الحلال، ووجوب شكر الله، والشكر يكون بطاعته.
الآية: ٥٢-	الإسلام دين البشرية جمعاء، ولا يحل الاختلاف فيه، بل يجب التمسك به وترك ما سواه.
الآية: ٥٣-	حرمة الاختلاف في أركان وأحكام الدين؛ فذلك سببُ الكوارث والفتن والمِحَنِ.
الآية: ٥٣-	لقد وقعت الأمة الإسلامية في ما وقعت فيه الأمم السابقة من اختلافهم في دينهم وتفرقهم مذاهبَ وطرقًا عديدة، على الرغم من تحذير الله لهم.
الآية: ٥٥-٥٦-	تقرير أنَّ الأمة إذا انحرفتْ عن دين الله ثم رُزِقت المالَ وسَعَةَ العيش كان ذلك استدراجًا لها، ولم يكن إكرامًا.
الآية: ٥٧-	الخشية والتوحيد والتواضع والمراقبة لله تعالى هي من الإيمان الحق.
الآية: ٥٨-٥٩-٦٠	الله تعالى يبشّر أهل الإيمان والتقوى بالفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.

وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾
أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا
عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ
﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى
تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ
بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ
ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ
﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ
كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن
ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ
وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾

معاني الكلمات:

٦٠- وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ: فهُمْ خائفون أنْ لا تُقبَلَ منهم أعمالُهم الصالحة.

٦٠- أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ: أي: لأنهم إلى ربهم راجعون؛ فيحاسبهم ويسألهم ويجزيهم.

٦١- يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ: يتسابقون في فعلِ الطاعات، وما أمر اللهُ بفعله.

٦٢- وُسْعَهَا: طاقتها وما تقدر عليه.

٦٢- وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ: وهو ما كتبته الملائكةُ من أعمالهم في الدنيا؛ فإنه ناطق بالحق.

٦٢- وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ: فلا تُنقَصُ حسنةٌ من حسناتهم، ولا تُزاد سيئةٌ على سيئاتهم.

٦٣- فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا: أي: جهالةٍ وعمى.

٦٣- وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ: أي: من دون أعمال المؤمنين كالربا والعناد.. إلخ.

٦٤- أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ: أخذَ اللهُ عِلْيَةَ قريشٍ في معركة بدر بعذاب القتل والأَسْر.

٦٤- إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ: أي: يصرخون بأعلى أصواتهم ضاجِّينَ مُستغيثين مما حلَّ بهم من العذاب.

٦٥- لَا تُنصَرُونَ: لا نُمِدُّكم بوسائل النصر.

٦٦- عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ: أي: ترجعون على أعقابكم كراهيةَ سماع القرآن.

٦٧- سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ: تَسْمُرون بالحرام ليلًا هاجرين الحقَّ وسماعَهُ.

٦٨- يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ: يتفكَّروا في الكلام الذين يسمعونه من محمد ﷺ.

٦٨- أَمْ جَآءَهُم: من الدين والشرع.

٦٨- مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ: وجاءت به رسل ونزلت كتب قبلهم وهم يعرفون ذلك.

٦٩- رَسُولَهُمْ: أي: محمدًا ﷺ.

٦٩- مُنكِرُونَ: جاحدون غير معترفين به.

٧٠- بِهِۦ جِنَّةٌ: أي: تسلطت عليه الجنُّ، أو هو مجنون.

٧١- وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ: أي: لو كان الحقُّ النازل من عند الله (القرآن) حسب ما يشتهونه.

٧١- وَمَن فِيهِنَّ: الملائكة والإنس والجنُّ.

٧١- أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ: أي: بالقرآن العظيم الذي فيه ذكرهم.

٧١- فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ: فهُمْ - لسوء حالهم وفساد قلوبهم - معرضون عما ذُكِّروا به.

٧٢- خَرْجًا: مقابلًا ماليًّا.

٧٢- فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ: أي: ما يَرْزُقُكه اللهُ خيرٌ.

٧٣- إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ: إلى الإسلام (طريق السعادة).

٧٤- لَنَٰكِبُونَ: جاعلوه على مَنْكِب، أي: يَحيدُون ويبتعدون عنه.

من هداية الآيات

الآية: ٦١- فضل المسارعة في الخيرات عند المقدرة، وعدم التسويف والتأخير.

الآية: ٦٢- تقرير قاعدة رفع الحَرَج عن غير القادرين على القيام بتكاليف الدين.

الآية: ٦٢- تقرير كتابة أعمال العباد وإحصاء أعمالهم ومجازاتهم العادلة يوم الحساب في الآخرة.

الآية: ٦٢- ضرورة الحذر من الإقدام على الأعمال السيئة؛ فإنها تُكتَبُ، وسيُسأَل المرءُ لا محالة، ما لم يتُب توبةً نَصُوحة.

الآية: ٦٣-٦٤- إمدادُ الله للإنسان بالمال والخيرات قد يكون استدراجًا وليس لرضا الله عنه، وقد تنتهيَ هذه الإمدادات بالمُتْرَفين إلى الهلاك والدمار.

الآية: ٦٥-٦٦- استغاثة الجاحدين والملحدين بالله في غمرة البلايا التي قد تقع عليهم لن تستجاب لهم؛ وذلك لاستكبارهم وإنكارهم وجودَ الله وقُدرَتَه.

الآية: ٦٦- تقرير أنَّ التوبة لا تنفع عند نزول العذاب ومعاينته.

الآية: ٦٧- تقرير أن الجهل والتعصب والتقليد الأعمى والاستكبار هي أسبابُ إعراض الناس عن الحق ومعارضتهم له.

الآية: ٦٨- على الإنسان أن يتدبَّر آيات الله الكونية والقرآنية، وأخبارَ السلف؛ ليفهم المراد من تعاليم وطاعة الله وعبادته.

الآية: ٧٠- وجوب البعد عن القوم الذين يكرهون الحق، والحقُّ معيارُهُ تُقَى الله تعالى.

الآية: ٦٣-٧٠- بيانُ الذنوبِ التي أُخِذَ بها مُتْرَفُو مكةَ في بدر، وهي: هروبُهُم من سماعَ القرآنِ، ونُكُوصُهُم عند سماعه على أعقابهم حتى لا يسمعوه، واستكبارُهُم بالحرام واعتزازُهُم به جهلًا وضلالًا، واجتماعُهُم في الليالي الطِوال يتسامرون على اللَّهْوِ وقولِ الباطل هاجرين سماع القرآن وما يدعو إليه من هدى وخير، ويجري ذلك على الحالات المماثلة في هذه الأيام، فوجب الانتباه لذلك.

الآية: ٧١- التنبه من خطر اتباع الهوى، وما يفضي إليه من الهلاك والخسران.

الآية: ٧١- تقرير أن القرآن الكريم يهدي للتي هي أَقْوَمُ في كل أحوال البشر.

الآية: ٧٢- يجب اليقين بأن الله تعالى هو الرزاق بأسباب يُجْريها في الدنيا.

الآية: ٧٣- الصراط [الطريق] المستقيم المُوصِلُ إلى السعادة والكمال هو الإسلام لا غير؛ لذلك يجب العمل بما دعا إليه.

الآية: ٧٣- يجب التنبه إلى أن الدعوة إلى طريق الحق تكون بالأسلوب النبوي الكريم.

الآية: ٧٤- تقرير أن عَدَمَ الإيمانِ بيوم القيامة هو الباعثُ على كلِّ شرٍّ، والمانعُ من كل خيرٍ.

﴿ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ
وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ
إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ
ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ
ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ
﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ
مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

معاني الكلمات:

٧٥- وَكَشَفْنَا مَا بِهِم: أزلنا الضَّررَ عنهم.

٧٥- لَلَجُّوا فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ: لتمادَوا في طغيانهم مُصِرِّين عليه.

٧٦- أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ: أي: سنواتِ القَحْطِ وما حصل لهم من قَتْلٍ وهزيمة في معركة بدر.

٧٦- وَمَا يَتَضَرَّعُونَ: لم يدعوا اللهَ ويتذلَّلُوا له ويتوبوا ويسألوه الفَرَجَ، بَلْ ظَلُّوا على ظلمهم.

٧٧- فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ: وهو ما حصل معهم في معركة بدر، وما أصابهم من القتل فيها.

٧٧- إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ: أي: يائِسُون حَزينون.

٧٨- أَنشَأَ لَكُمُ: خَلَقَ وأوجدَ لكم الأذنين للسمع والعينين للبصر.

٧٨- وَٱلْأَفْـِٔدَةَ: جمع (فؤاد)، وهو القلب، وقيل العقل.

٧٨- قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ: أي: ما تشكرون اللهَ إلا قليلًا.

٧٩- ذَرَأَكُمْ: أي: خَلَقَكُم في الأرض.

٧٩- وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ: أي: تجمعون إليه بعد إحيائكم وخروجكم من قبوركم يوم القيامة.

٨٠- وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ: أي: بيده تعالى ظلمةُ الليل وضياءُ النهار.

٨٠- أَفَلَا تَعْقِلُونَ: ألا تتفكَّرون فتعرفوا أن اللهَ هو المعبودُ الحقُّ وهو الربُّ الحقُّ.

٨١- ٱلْأَوَّلُونَ: الأجداد والآباء السابقون.

٨٢- لَمَبْعُوثُونَ: لَمُحْيَوْنَ بعد الممات.

٨٣- أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ: الأساطير: جمعُ (أسطورة)، وهي الحكاية المسطَّرة المكتوبة، أي: ما تقولون - من البعث والحياة الثانية - ما هو إلا حكاياتُ وأباطيلُ وأخبارُ آبائنا الأولين.

٨٥- قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ: فتَعْلَمُوا أنَّ مَنْ له الأرضُ ومَنْ فيها خَلْقًا ومُلْكًا قادرٌ على البعثِ.

٨٧- قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ: أي: كيف لا تتقون اللهَ بالإيمانِ به وتوحيدِه وتصديقِ البعث والجزاء.

٨٨- مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ: أي: مُلْكُ كلِّ شيء، يتصرف فيه كيف يشاء.

٨٨- وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ: يحفظ ويحمي مَن يشاء، ولا يحميه أحدٌ.

٨٩- فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ: أي: كيف تُخْدَعون وتُصرَفون عن الحق.

من هداية الآيات

الآية:٧٥-٧٦-٧٧	من آثار الكفر: ظلمة النفس، وينتج عنها: اليأس والقنوط والتمادي في الشر والفساد.
الآية: ٧٨-	وجوب الشكر لله تعالى، والشكر يكون بطاعته في نعمه التي لا تُعدُّ ولا تحصى، ومن بينها نعمة السمع والبصر والقلب.
الآية:٧٩-٨٠	تقرير عقيدة البعث والجزاء، والأدلة على ذلك عديدة.
الآية: ٨٠	ضرورة التدبُّر والتفكُّر في الدلائل العقلية والآيات الكونية الدالة على وجود الله سبحانه وتعالى.
الآية:٨١-٨٢- ٨٣-	سوءُ عاقبة التقليد، وآثارُه في السلوك الإنساني؛ فهو يُفْقِدُ المُقلِّدَ عَقلَهُ.
الآية:٨٤-٨٥-	مشروعية توبيخ المتغافل المتجاهل، وتأنيبِ المتعامي عن الحق وهو قادر على رؤيته، لكن بأسلوب حسن.
الآية:٨٤-٩٢-	معرفةُ أسماءِ الله الحُسنى وصِفاتِهِ الفُضلى تساعدُ على استحضارِ عظمة الخالق سبحانه.
الآية:٨٦-٨٧-	ضرورة اليقين بربوبية الله تعالى وألوهيته.
الآية: ٨٧-	إن تقوى الله تكون بطاعته في أوامره وطاعةِ نبيِّه الله ﷺ.
الآية: ٨٨-	ضرورة مساعدة وحماية الضعفاء كل حسب موقعه وقدرته.
الآية: ٨٩-	يجب الانتباه من الغفلة عن اتباع تعاليم الله تعالى.

بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ
وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ
ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ
إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾
ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾
وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ
رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ
هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ
فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾
فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

معاني الكلمات:

٩٠- بَل أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ: أي: بما هو الحقُّ والصدق في التوحيد والنبوة والبعث والجزاء، وقيل: بالقرآن.

٩١- وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ: أي: قهرًا وسلطانًا.

٩١- عَمَّا يَصِفُونَ: من الكذب، كزعمهم أنَّ لله ولدًا، وأنَّ له شريكًا، وأنه غيرُ قادر على البعث.

٩٢- عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ: الذي يعلم ما ظَهَرَ وما بَطَنَ، وما غاب وما حَضَرَ.

٩٢- فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ: تَنَزَّهَ وتقدَّس اللهُ عن أن يكون له شريكٌ أو وَلَدٌ.

٩٣- إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ: أي: إن أَرَيْتَنِي الذي وعدتَهُ من العذاب.

٩٤- فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ: أخرِجْني وأبعِدْني عنهم؛ حتى لا أهلِكَ معهم.

٩٦- ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ: أي: ادفع بالخَصْلَةِ التي هي أحسنُ، وذلك كالصَّفْح والإعراض عنهم.

٩٦- نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ: مِن قولِهم: لله شريكٌ وله ولدٌ.

٩٧- هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ: وَساوِسِهم التي تخطُرُ على القلب فتكاد تُفْسِده.

٩٨- أَن يَحْضُرُونِ: أي: أن يوسوسوا ويفتنوني في أموري.

٩٩- جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ: رأى علاماتِ الموت.

٩٩- ٱرْجِعُونِ: أي: أَخِّرُوا موتي كي أعملَ صالحًا.

١٠٠- إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا: كلامٌ لا فائدة منه ولا نفع فيه

١٠٠- بَرْزَخٌ: أي: حاجز [مرحلة - مدة] يمنع العودة إلى الحياة الدنيا.

١٠١- نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ: أي: في البُوق، والمراد: نفخة القيام من القبور للحساب والجزاء.

١٠١- أَنسَابَ: صِلة قرابة.

١٠٢- ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ: رَجَحَتْ كِفَّةُ حسناته على كفة سيئاته.

١٠٢- ٱلْمُفْلِحُونَ: أي: الفائزون بالنجاة من النار ودخولِ الجنة بالعمل الصالح في الدنيا.

١٠٣- خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ: الذي لا عمل صالحًا له في الدنيا، أو كانت أعماله الصالحة قليلة.

١٠٣- خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ: يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم الحساب.

١٠٤- تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ: أي: تحرقها.

١٠٤- وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ: الكالحُ: مَنْ أحرقتِ النارُ جلدةَ وجهه وشفتيه.

من هداية الآيات

الآية: ٩٠- ضرورة تعويد النفس والأولاد على الابتعاد عن الكذب؛ لأن من سِمات المسلم الحقِّ أنه لا يكذب.

الآية: ٩١-٩٢- تنزيه الله تعالى عن الصاحبة والولد، وإبطال ادِّعاءاتِ المُفْتَرين.

الآية: ٩٣- مشروعية الدعاء، والترغيب فيه، وفائدته تظهر في الدنيا والآخرة.

الآية: ٩٤- استحباب دفع السيِّئِ من القول أو الفعل بالصفح والإعراض عن صاحبه.

الآية: ٩٧- مشروعية الاستعاذة بالله تعالى من وساوس الشياطين ومن حضورهم؛ حتى لا يفسدوا على العبد أَمْرَهُ بالخواطر السيئة.

الآية: ٩٧- يجب الحذر من وساوس شياطين الإنس، وأصدقاءِ السوء، والإعلانات المُغْرِضَة، والإعلام المَشبُوه.

الآية: ٩٧-٩٨ في حال عمل السُّوء أو الذنب تنبغي التوبةُ والصدقةُ والأعمالُ الصالحة والاستغفار.

الآية: ٩٨-٩٩-١٠٠ يجب على المؤمن أن يَتَّعِظَ بحال من يتمنى العملَ الصالحَ عند الموت فلا يُمَكَّنُ منه فيموتُ بندمه وحسرته، ويلقَى جزاءَ تفريطه حِرمانًا وخسرانًا في الدار الآخرة.

الآية: ٩٩- يستحب المسارعة في فعل الخيرات قبل فوات الأوان.

الآية: ١٠٠ الاعتذار بالقَدَرِ لا ينفع صاحبَه؛ إذ القَدَرُ مستورٌ، والعبد مأمورٌ ومختار بالفعل؛ فَلْيَأْتَمِرْ بأمر الله ورسوله، ولْيَنْتَهِ بنهيهما وسيحاسب على اختياره.

الآية: ١٠١- يوم القيامة يكون بعد نفخ الصُّوْرِ، وقد ورد عن الرسول ﷺ أن الصور قَرْنٌ يُنْفَخ فيه، وقد اشتهر أن الذي ينفخ فيه هو (الملاك) إسرافيل عليه السلام، وأنه مُستعدٌّ للنفخ فيه منذ أن خلقه الله تعالى، ويكون النفخُ مرتين، الأولى يحصل بها الصعق (الموت)، والثانية يحصل بها البعث والنشور (التجميع للحساب).

الآية: ١٠١-١٠٥- تقرير عقيدة البعث والجزاء من خلال عرض أحداثهما في القرآن في عدة سُوَر.

الآية: ١٠٢-١٠٣- تقرير أن وزن الأعمال يوم القيامة حقٌّ، وإنكارَه بدعةٌ مُكَفِّرَةٌ، فمن رجحت كفةُ حسناتِهِ على كفة سيئاته دخل الجنة برحمة الله، وأما الذي كانت أعماله السيئة أكثرَ فإنه يدخل النار، ما لَمْ يأذنِ اللهُ له بقبول الشفاعة له.

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟
رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ
أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا
وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ
ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ
سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾
إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ
كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ
إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

معاني الكلمات:

١٠٥- أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ: يُوبِّخُهم ويذكِّرُهم بالماضي ليحصل لهم الندمُ، والمراد بالآيات - هنا - آياتُ القرآن.

١٠٦- غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا: جوابُهم - كالمعتذرين - بأنَّ شقاءَهم كان بقضاء وقَدَرِ الله.

١٠٦- وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ: اعتراف صريح من المشركين بأنهم كانوا قومًا ضالين.

١٠٧- أَخْرِجْنَا مِنْهَا: من النار.

١٠٧- فَإِنْ عُدْنَا: إلى الشرك والمعاصي.

١٠٨- اخْسَـُٔوا: توبيخ، بمعنى اقعدوا في النار أذلَّاء مُخْزِيِّين.

١٠٩- فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى: هم المؤمنون المتَّقون.

١١٠- فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا: أي: جعلتموهم مَحَطَّ سُخريتكم واستهزائكم واحتقاركم.

١١٠- أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى: أي: أَلْهَوْكُم عن ذكر الله، وأنسَوكم أوامرَه ونواهيَه.

١١١- بِمَا صَبَرُوٓا: على الإيمان والتقوى.

١١١- هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ: أي الناجون من النار المُنعَّمون في الجنة.

١١٢- قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ: كم سنة لبثتموها في الأرض أحياء وأمواتًا في قبوركم؟

١١٣- فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ: يريدون الملائكة التي كانت تَعُدُّ، وهم الكرام الكاتبون، أو مَنْ يَعُدُّ، أما نحن فلا نعرف.

١١٥- خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا: أي: ظننتم أن الله خلقكم لا لحكمة، بل للعيش واللعب فحَسْب.

١١٥- وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ: لا تُبْعَثون وتُحاسَبون وتُجزَون بأعمالكم.

١١٦- فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ: أي: تَنَزَّه اللهُ عن العبث.

١١٦- رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ: مالك العرش العظيم، وهو أعظم من الكرسي (ولا نعرف وصفَه لجلاله وعظمته جلالًا وعظمة يليق بجلال وعظمة الله سبحانه).

١١٧- لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ: لا يوجد برهان ولا حُجَّةٌ على صحة عبادة غير الله تعالى؛ إذ الخلق كله مربوب لله مملوك له.

١١٧- حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ: أي: مجازاته عند ربه، هو الذي يجازيه بشركه به ودعاء غيره.

من هداية الآيات

الآية: ١٠٥- الكذب آفة، وهو من الكبائر، ونتيجته وخيمة في الدنيا والآخرة يجب اجتنابه.

الآية: ١٠٨- تقرير حجم حسرة أهل النار عندما يجابون بـ ﴿اخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾.

الآية: ١٠٩- تقرير فضيلة التضرُّع إلى الله تعالى ودعائه والتوسل إليه بالإيمان وصالح الأعمال طمعًا بالجنة.

الآية: ١١٠- تقرير حرمة السخرية بالمسلم خاصة، وبأي إنسان بصورة عامة.

الآية: ١١٠- ضرورة البعد عن أصدقاء ورفقاء السوء وأماكن اللهو الفاجر؛ لأنهم يُبْعِدون المرء عن الله.

الآية: ١١١- تقرير فضيلة الصبر؛ وقد ورد أن منزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد، وخواتيمه مبشّرة بالخير في الدنيا والآخرة.

الآية: ١١٢-١١٥- عِظَمُ هولِ يوم القيامة والحساب، وشدةُ الفزع فيه، فليتَّقِ المسلمُ ذلك بزيادة الإيمان وصالح العمل.

الآية:١١٢-١٧- تقرير عقيدة البعث والجزاء والجنة والنار بعد يوم القيامة.

الآية:١١٢-١٨- تنزه الله تعالى عن العبث واللهو واللعب سبحانه.

الآية: ١١٧- تقرير كفر وشرك من يدعو مع الله إلهًا آخر.

الآية: ١١٧- الحكم بخسران الكافرين عاجلًا أو آجلًا، وعدم فلاحهم في الدنيا والآخرة.

الآية: ١١٨- استحباب الدعاء - دائمًا وفي كل الأحوال - بالمغفرة والرحمة للمؤمنين والمؤمنات كافة.

الآية: ١١٨- استحباب التوبة والاستغفار باستمرار، وقد كان الرسول ﷺ - وهو المعصوم عن الخطأ - يستغفر ربه في اليوم الواحد سبعين مرة، وفي بعض الروايات مائة مرة.

الآية: ١١٨- تقرير أن الله تعالى هو أرحم الراحمين، وأن رحمته سبقت غضبه، وأن رحمته وسعت كل شيء في الدنيا والآخرة ولجميع عباده، وهو الذي قال في كتابه الكريم ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر].

التفسير الموضوعي لسورة المؤمنون[1]

بَينَ الأعـمالِ وأَخْزِيتها[2] رِباطٌ وَثيقٌ؛ فمستقبلُ الخيرِ نَضِيرٌ[3] ولو كان حاضِرُهُ مُعْنِتًا[4]، ومستقبلُ الشرِّ سيِّئٌ وإن كان حاضُرهُ خادعًا.

والنـاسُ عـادةً مَعنِيُّـونَ بيومهم الحـاضر ومستغرِقون فيه، وذلك حجاب عن الحق، وأُحْبُولَةٌ[5] يقع فيها الغافلون.

وقد نزلت سورة المؤمنون لتُعَلِّق الأبصارَ بالآخرة، وتُطَمئِنَ المؤمنين إلى مستقبلهم الطيب، أما الكافرون فالويل لهم.. وافتُتِحت السورةُ بهذه البشرى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾.

عـن عمر بن الخطـاب رضى الله عنـه: كان رسـولُ الله ﷺ إذا نزل عليه الوحيُ يُسْـمَعُ عنـد وجهه دَوِيٌّ[6] كَـدَوِيِّ النحل، فأنـزل الله عليه يومًا، فمكث سـاعةً، ثم سُرِّيَ[7] عنه فقـرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ إلى عـشر آيات من أولها، وقـال: «مَنْ أقامَ هذهِ العَشْرَ آيـاتٍ دَخَلَ الجنةَ»، ثمَّ استقبلَ القِبلةَ ورفع يديه وقال: «اللَّهمَّ زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنا، وأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا،

١- من كتاب «نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم» للشيخ محمد الغزالي رحمه الله.

٢- أَخْزِيتها: الشعور بالمهانة والخِزْي نتيجتها.

٣- نَضِيرٌ: جميل وحَسَن.

٤- مُعْنِتًا: ذا مشقَّةٍ وصُعوبة.

٥- أُحْبُولَةٌ: مَصْيَدةٌ وخديعة.

٦- دَوِيٌّ: صوتٌ عالٍ.

٧- سُرِّيَ: زال عنه ما كان به.

وَأَعْطِنَا ولَا تَحْرِمْنا، وآثِرْنَا ولَا تُؤْثِرْ عَلَينا، اللهُمَّ أَرْضِنا وَارْضَ عَنَّا» رواه أحمد والترمذي.

والآيات المذكورة مَزيجٌ من العقائد والأخلاق والعبادات والمعاملات، وقد وَعَدَتِ المُستَمْسِكَ بها بالفلاح.. وفي وسط السورة تكرارٌ لهذا المعنى في ثوبٍ آخرَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾، والظاهرُ أنَّ الموصوفين بما ذُكِرَ هم المذكورون أولَ السورة، المَوعودون بالفلاح، وكِلَا المَوضِعَين يُصوِّر جانبًا من سِيرَتِهم[1]، ولَوْنًا من شمائلهم[2]، أما الأشرارُ فإنَّ سِيَرتَهم وآخرتهم شُرِحَتَا في آخرِ السورة شرحًا مُستَفِيضًا، كما ذُكِرت مَصَائِرُهم[3] في قَصَصِ الأُمم البَائِدَة[4]، وفي عَرْضِ الحديثِ عن أحوالِ المُشركين أثناءَ مناقشتهم وتوبيخهم[5].

والجَزاءُ المَوعودُ[6] يجيءُ بعدَ فترةٍ يقضيها البَشَرَ على ظهر الأرض،

١- سِيرَتِهم: حالِهم.

٢- شمائلهم: أخلاقهم وصفاتهم الحسنة.

٣- مَصَائِرُهم: جمع مصير وهو ما ينتهي إليه الأمر.

٤- البَائِدَة: الماضية الزائلة.

٥- توبيخهم: التأنيب واللوم الشديد على تصرفاتهم.

٦- الجَزاءُ المَوعودُ: الثواب أو العقاب من جنس العمل كما وعد الله تعالى.

يتمُّ فيها تَمْحِيصُهم[1]، وتُحْصى[2] عليهم أعمالُهم وأحوالهم..

وقد وُصِفَتْ هذه الفترةُ وَصْفًا يبعثُ على الإيمان بالله والشعورِ بعَظَمَته: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ﴾، كيف تخلَّقتْ هذه الأجسامُ من التراب؟ كيف يتحول الغُبارُ المَرْكُوم[3] إلى بَشَرٍ سَوِيٍّ[4]؟ كيف تُوضَع خصائصُ النخلة في النَّواة، وخصائصُ الإنسان في النُّطْفة؟ كيف تَتَّجِهُ قوانينُ الوِراثة إلى غايتها على مَرِّ الأيام، فإذا الطفلُ العاجزُ بَشَرٌ عِمْلاقٌ؟!

إن كلَّ شيءٍ يصرُخُ بعظمةِ الخالق الكبير، ولكنَّ الكافرين يحيون في غفلة[5] هائلة، ومَصِيرُهم كَالِحٌ[6]!

﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

وعادتِ السورةُ بالناس إلى الماضي البَعيد، تَحكِي جُحُودَ[7] الأوائل لفضل الله، وتَمَرُّدَهُم على هداياته، وتَكْذِيبَهُم لرُسُله، فذَكَرتْ نُوحًا وَقَومَهُ، وهُودًا وقومَه... ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ﴾

١- تَمْحِيصُهم: اختبارُهم.

٢- تُحْصَى: تُعَدُّ وتُحفَظُ.

٣- المَرْكُوم: المجموعُ بعضُه فوق بعض.

٤- سَوِيٍّ: الصحيح الطبيعي لا عيب فيه.

٥- الغفلة: السهو الناتج عن قلة التيقظ، أو متابعة النفس على ما تشتهيه.

٦- كَالِحٌ: المراد أنه صعبٌ وشديد.

٧- الجحود: عدم الاعتراف.

﴿فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٤٤﴾.

والأقوام التي رفضت الإيمانَ تعيش كَثْرَتُها في المنطقة التي يقال لها الآن (الشرق الأوسط)؛ كان نوحٌ شماليَّ العراق، وهبط إبراهيم من العراق إلى الحجاز، ومرَّ بمصر والشام، وخرج موسى من وادي النيل يريد الفرار بقومه، ومات في التِّيهِ[1]، ووُلِدَ عيسى بفلسطين وزار مصر، وكان صالح وشعيب في شمال الجزيرة العربية، وكان هود بالأحقاف في اليمن.. إلخ.

ويبدو لنا أن الناس في هذه البلاد كانوا أقرب من غيرهم وعيًا لرسالات السماء وحقائق الوحي!! فلما جحدوا بها واستيقنتها[2] أنفسُهم مَزَّق القَدَرُ شَملَهُم!

هل كان المرسلون يكلِّفون الناسَ ما لا يطيقون[3]؟ كلا، فليس يَشِقُّ[4] على الناس أن يدَعوا الخبيث للطيب ويفعلوا الخير.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ٥٢﴾؛ ولذلك قال الله بعدئذ: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٢﴾.

١- التِّيهِ: المكان لا تُعرَف فيه الاتجاهات، والمراد هنا: صحراء سيناء.

٢- استيقنتها: تأكَّدتْ من حقيقتها وصِدْقها.

٣- يطيقون: يقدرون عليه أو يتحملونه.

٤- يَشِقُّ: يَصْعُب.

ثم جاءت الرسالةُ العالمية (الإسلام) بعد هذه الرسالات المحليَّة، وساق[1] محمدٌ ﷺ خُلاصاتِ الوحي الإلهي كلِّه لعرب الجزيرة في قرآن كريم حوى الرسالة ومعجزاتها معها.

ولكن العرب أوَّلَ أمرِهم رفضوا الإسلام وكذَّبوا نَبِيَّهُ! وهم أَعْرَفُ الناسِ بشرَفِ محمدٍ وأمانته، وقد أشار أبو طالب لهذا حين قال:

لقد علموا أنَّ ابنَنا لا مُكَذَّبٌ لَدَيْنَا، ولا يُغرَى لقول الأباطِلِ

ووصف القرآنُ موقِفَهم هذا بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

وقد كلفتْهُم كراهيةُ الحقِّ ثمنًا غاليًا؛ لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾﴾، فانهزموا في معركة بدر هزيمةً مُخْزِيةً، ورُمِي صناديد[2] الكفر وأشياعُهم[3] في بئر مظلمة، وقد كانوا من قَبْلُ يَسْمَرُون[4] في ناديهم بشَتْمِ الإسلام والسخريةِ من تعاليمه، والنَّيْلِ من المسلمين المُستَضْعَفين، واستباحة حقوقهم.

﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾.

١- ساق: قَدَّم.

٢- الصنديد: السيد الضخم.

٣- أشياعُهم: جماعاتهم.

٤- يَسْمَرُون: يتحادثون ليلًا.

إِيـلامُ[1] المرء قد يكون تطهيرًا له ورفعَ درجةٍ، ويقع ذلك للصالحين والمجاهدين وأمثالِهم، كما جاء في الحديث: «ما يُصيبُ المُسلِمَ مِنْ هَمٍّ ولَا غَـمٍّ ولَا وَصَبٍ[2] ولاَ نَصَبٍ[3] حتَّى الشَّـوكَةُ يُشَـاكُها إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِها مِنْ خَطايَاهُ». رواه البخاري.

وقـد يكـون الإيـلامُ تأديبًـا وتهذيبًـا ورَدًّا إلى حالة الاعتـدال التي يتجاوزها المُخطِئ، فإن للقوة صَوْلَة[4]، وللثروة طغيانًا[5].

وقد يتطـاول المرءُ فوقَ قَدْرِه؛ لأن الرزق بُسِـطَ له، أو لأنَّ جاهه[6] اتسـع! وقـد كانت قريـشٌ شـديدة الكِبْرِ عـلى الحـق؛ لأنَّ رَغَـدَ العيشِ أَبْطَرَهـا[7]؛ حتى دعا الرسـولُ عليها: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيهِم بِسَـبْعٍ كَسَـبْعِ يُوسُفَ». رواه البخاري، أي: سبع سنوات عِجَاف.

ولا تـزال أمواجُ الألم تغمُـرُ المُخطئين حتى يَرعَـوُوا[8]، وكلما تأخَّر صلاحُهُم ترادف[9] البلاءُ عليهم؛ لأنهم كما قال الله: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا

١- إِيلامُ: مصدر ألم وهو الوجع الشديد.

٢- وَصَبٍ: مرض.

٣- نَصَبٍ: تعب.

٤- صَوْلَة: نُفوذًا وقَهرًا.

٥- الطغيان: تجاوز الحدِّ.

٦- جاهه: مكانته وقَدره.

٧- البَطَر: الطُّغْيانُ بالنِّعْمَةِ.

٨- يَرعَوُوا: يمتنعوا.

٩- ترادف: تتابع.

﴿مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

ولقد مرَّت بقريشٍ سنواتٌ عَضُوضٌ[١]، قيل: أَلَحَّ[٢] عليهم الجوعُ حتى اسودَّتْ الآفاقُ في عيونهم.. ومع ذلك ظلُّوا مُنْتَصِبين[٣] نحو عشرين سنةً يقاتلون الرسولَ وصَحْبَهُ! ومازالوا كذلك حتى خارَتْ[٤] قُواهُم، وسقطتْ دولةُ الكفر في أرضهم، وقامت بَدَلَها دولةُ الإيمان.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

وسورة المؤمنون مكيَّةٌ، وهذا التهديدُ هو لِحَمْل القومِ على الرُّشْدِ[٥]، ولكن القرآن الكريم يعود إلى سننه في التعليم والإرشاد ومناشدة العقل الإنساني على الوعي؛ ولذلك بدأ يذكِّرُ الناسَ بنعمة الله عليهم، وكيف أوجدهم وسخَّرَ لهم الليلَ والنهارَ والشمسَ والقمرَ، وكيف أنشأ لهم السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ، وقد وجَّهَ لهم ثلاثةَ أسئلةٍ تكشف التناقضَ في شِرْكِهم، والخَلْطَ[٦] في تفكيرهم، وتبعثهم[٧] على إخلاص التوحيد:

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾

١- عَضُوضٌ: شديدة قاسية.

٢- أَلَحَّ: دام (مدة طويلة٩.

٣- مُنْتَصِبين: واقفين.

٤- خارَتْ: خضعت وانكسرت.

٥- الرُّشْدِ: الاستقامة على طريق الحق.

٦- الخَلْطَ: عدم التمييز.

٧- تبعثهم: هنا بمعنى تنبِّههم.

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

وهذه الأسئلةُ موجَّهةٌ إلى المشركين الذين يعبدون الأصنامَ وهم يعلمون أنها لم تَخْلُقْ أرضًا ولا سماءً، ولم تُرسِل رزقًا ولم تحدِّدْ أجلا[1]، ولكنَّ هذه الأسئلةَ نفسَهَا توجَّهُ إلى فريق من أهل الكتاب، يَشُوبُونَ[2] التوحيدَ بالتعديد، ويختلقون[3] مع الإلهِ آلهةً أُخرى ما أنزل الله بها من سلطان، والواقع أنَّ القرآنَ بنى الإيمانَ الصحيحَ على الوحدانية النقيَّةِ التي تجعلُ ما عدا اللهَ مِلْكًا خالصًا له، وعبدًا عانيًا[4] في حَضْرتِه.

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

إن عقيدة التوحيد وَلِيدَةُ فِكْرٍ ثَاقِبٍ[5]، وبرهانٍ دَامِغٍ[6]، وما الشِّرْكُ أو أُبُوَّةُ الله وبُنُوَّتُهُ، إلا ظُنُونٌ خامَرَتْ[7] العقلَ وهو غافلٌ، وسكنتْ فيه وهو مُخَدَّرٌ.

١- أجلًا: وقت نهاية.

٢- يَشُوبُونَ: يُشوِّهُون.

٣ يختلقون: يدَّعونَ.

٤ عانيًا: ذليلًا.

٥- ثَاقِبٍ: بصير وعميق وراجح.

٦ دَامِغٍ: مُقنِعٍ وحاسِمٍ.

٧- خامَرَتْ: خالطت.

ولما كان المرءُ قد يقع صَرِيعَ[1] شهوةٍ غالِبَةٍ، أو ميراثٍ جَارِفٍ[2]، فيبقَى على ضلاله وشُرُودِهِ[3]، فإنَّ الله سبحانه أَشْعَرَ الإنسانَ بأنه ليس بخالدٍ في هذه الدنيا، إنه مُعمَّرٌ فيها إلى حين! فَلْيَخْشَ الموتَ وما يَتْبَعُهُ؛ فإنه سيندم ويتمنَّى لو كان عَقَل[4].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

وطَلَبُ الرُّجوعِ إلى الدنيا لاستئنافِ حياةٍ أَشْرَفَ تكرَّرَ في القرآنِ الكريم عشرَ مرَّاتٍ أو يزيدُ، وهو دلالة حاسمةٌ على أن المجرمَ يعترف بخطئه السابقِ، ويرجو اللهَ أنْ يُتِيحَ له فرصةً أُخْرى للإصلاح!

وفي سورة المؤمنون تكرر هذا الطلب مرتين: مرةً عند مجيءِ الموت، ومرةً عند الحساب، ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾.

ولعلَّ هذا الطلَبَ المُتكرِّرَ يُقنِعُ جَماهيرَ من الناسِ تَدِينُ بعَقيدةِ

١- صَرِيعَ: ضحية.

٢- جَارِفٍ: مُهلِك.

٣- شُرُودِهِ: خروجِه عن الطاعة.

٤- عَقَل: أدرك الحقيقة.

الجَبْرِ[1]، وتزعم أن الجزاءَ مكتوبٌ[2]! لا سبب للإنسان فيه!! وهؤلاء كثيرون في أُمَّتِنا، يعيشون بغير إرادة، ويظلمون الإسلامَ بتَمَاوُتِهم[3] الغريب.

وقد جاء ختامُ السورةِ تكذيبًا لهؤلاء الكُسالَى، وتَقْبِيحًا لأفعالهم: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾.

إن اللهَ أعلَى وأَجَلُّ مِنْ أنْ يظلم أحدًا مِن خَلْقِهِ! لقد مَنَحَ آدمَ وبَنِيهِ الحياةَ في هذه الدنيا، وزوَّدَهم بعقلٍ كاشِفٍ[4] ووحيٍ هادٍ، وَبَشَّرَ وأَنْذَرَ، وأصَحَّ وأمرَضَ، ويَسّرَ وعَسّرَ؛ كي يتعرَّفَ المرءُ على ربِّهِ في الحالين، ويستعد للقائه بعمل صالح، فإذا أَبَى إلا الشُّرُودَ[5] فالعِقابُ المُرْصَدُ[6] عَدْلٌ، ولا يُسمَعُ فيه عُذْرٌ.

وقد ذكرت السورةُ أن المرءَ الكافرَ عند الحساب ينسى الزَّمَنَ، ويذهبُ من عقله الماضي كُلُّهُ، ولا تتماسك[7] الحياة الأولى في ذاكرته إلا

١- الجَبْرِ: فِرقة تعتقد أن الناس مَجْبُورون على أفعالهم.

٢- مكتوبٌ: أي لا اختيار لك في العمل وأنه من الله تعالى.

٣- بتَمَاوُتِهم: هنا بمعنى إصرارهم حتى الموت.

٤- كاشِفٍ: مظهر للحقائق والوقائع.

٥- الشُّرُودَ: الخروج عن الطاعة.

٦- المُرْصَدُ: المُخصّص لكلّ خطيئة.

٧- تتماسك: تستقر أو تظل.

لحظـاتٍ قصيرةً مُبْهَمَـةً[1]: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١٤﴾.

ومرَّةً أُخْرى يعود القرآنُ إلى بنـاء الإيمانِ على البُرهان[2]، ويؤكِّدُ أن الدِّينَ ليس عقلًا خُرافيًّا يتبع التُّرَّهاتِ[3]! إنه عقلٌ يحترم الدليلَ ويحتجُّ به.

إنَّ العقـلَ مَنَـاطُ[4] التكليفِ وسُـلَّمُ الارتقاءِ[5]، وأقـربُ الخَلْقِ إلى الـدَّوابِّ هم الكافرون بالله، البعيدون عن هُداه: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨﴾.

والحمد لله رب العالمين.

١- مُبْهَمَةً: ما يصعب إدراكه (خفي).

٢- البُرهان: الدليل.

٣- التُّرَّهاتِ: الأباطيل.

٤- مَنَاطُ: موضع أو علة الحكم.

٥- الارتقاءِ: الصعود ورفع الدرجات والارتفاع.

من خواطر الدكتور محمد راتب النابلسي
في شرح سورة الْمُؤْمِنُون

قال عليه الصلاة والسلام: «أُنْزِلَ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ، مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ حَتَّى خَتَمَ عَشْرَ آيَاتٍ». رواه الترمذي عن سيدنا عمر، وهي الآيات العشر الأولى من سورة المؤمنون.

قد: حرف تحقيق؛ إذ جاءت قبل الفعل الماضي، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾، فَلَاحُ المؤمنين تحقَّقَ، أمَّا أيُّ فلاحٍ آخرَ يُنْجِزُهُ الإنسانُ في الدنيا فربَّما لا يكون محقَّقًا (أكيدًا)، لو اشترى بيتًا فخمًا، وبالغ في تزيينه، قد تُعاجِلُهُ المَنِيَّةُ قبلَ أنْ ينتهي، فهذا النجاحُ ليس محققًا، فأيُّ نجاحٍ على وجه الأرض ليس محققًا أكيدًا.

الفلاح هو النجاح، والفلاح هو الفوز، هو التفوُّق، هو تحقيق الهدف، فمعنى الآية: أنَّ الذين حققوا الهدفَ من خَلْقِهم هم المؤمنون، ثمَّةَ مَنْ يتفوَّق في الدنيا، وهذا لا يعني - بالضرورة - النجاحَ الذي يرتضيه اللهُ سبحانه وتعالى لعباده، والذي هو النجاح الأُخرَوي.

ولو تتبَّعت فعل (أفلح) في القرآن الكريم لوجدت أن هناك ثلاث آيات فقط ذُكِر فيها، وهي: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [سورة المؤمنون]، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [سورة الشمس]، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾ [سورة الأعلى].

إنَّ اللهَ سبحانه يعطي الصحةَ والذكاءَ والمال والجمال للكثيرين من خَلْقِهِ، ولكن النجاحَ والفلاحَ لا يتحقَّقُ إلا لَمن قام بتزكية نفسه.

لابُـدَّ أن يتطابقَ مقياسُ الفلاح عندك مع مقياس الفلاح عند الله عزَّ وجل، واللهُ سبحانه وتعالى جعل الإيمانَ هو الفلاحَ الذي يريده لعباده.

إذا ظلم الإنسـانُ فالله سـبحانه وتعالى يقـول: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الأنعام].

والـذي أدار ظهـره للدِّين، وجحد نعمةَ الله عـزَّ وجل، والتفت إلى الدنيا فهذا عند الله ليس بفالح، وإن حقق نجاحًا كبيرًا في الدنيا ﴿إِنَّـهُۥ لَا يُفْـلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة المؤمنون].

وإذا امتـنَّ اللهُ عزَّ وجلَّ عـلى أحدِنَا بالصحة، وبراحـة بالٍ، وبأهلٍ صالحـين، ورزقٍ كفـافٍ يكفيـه دون أن يزيد عليه فقـد أفلح، يقول عليه الصلاة والسـلام: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْـلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ».

رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

لدينا قاعدة في المنطق أنَّ الصفةَ قيدٌ، فلو قلت: (إنسان) فهذه الكلمة تشـمل سبعة آلاف مليون إنسان، أليس كذلك؟ إذا وصفت هذا الإنسان بأنه إنسان عربي، هذه الدائرة التي كانت تتسع لسبعة آلاف مليون ضاقت حتـى أصبحت تشـمل أربعمائـة مليون فقـط، أليس كذلك؟ فـإذا قلت: إنسـان عربي مسـلم ضاقت إلى ثلاثمائة وخمسون مليونًا، فإذا قلت: إنسان عربي مسـلم مثقف طبيب قلب متخصص يمكـن أن يكون العدد ألفين، وإذا قال أحدهم: أنا مؤمن، والحمد لله أنا مُفْلِحٌ، نقول له: انتظر، اِعرض نفسـك وأعمالك على قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾.. هل خشعتَ في صلاتـك؛ لقولـه: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾.. ثم نتلو قوله

تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣﴾.. ثم لو ضاقت الدائرة أكثر نتلو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩﴾، إذن فالفلاحُ الذي عَنَاهُ اللهُ سبحانه وتعالى ليس لمن يَدَّعي الإيمانَ، ولا لَمَنْ يتوهَّم أنه مؤمن، ولكنْ لَمَن انطبقت عليه كلُّ هذه الشروط.

الله يريد عملًا يؤكِّد إيمانَك، يريد قلبًا مُفْعَمًا بالإيمان، ولسانًا يلْهَجُ بذكر الله عزَّ وجل، وصِدقًا في العمل.. فالإيمانُ ما وَقَرَ في القلب، وأقرَّ به اللسانُ، وصدَّقه العملُ.

والنبي عليه الصلاة والسلام أعطى تعريفاتٍ عدةً للإيمان، من ذلك قولُه: «الإيمانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». رواه البخاري ومسلم.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، [أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ] شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ». رواه مسلم عن أبي هريرة.

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢﴾، وأساس الدين اتصالٌ بالخالق وإحسانٌ إلى المخلوق، قال تعالى عن سيدنا عيسى عليه السلام:

﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيًّا ٣١﴾ [سورة مريم]، وقال عزّ وجل: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [سورة طه].

إذا اتصلتَ بالله اتصالًا صحيحًا قذف اللهُ في قلبك النورَ، فرأيتَ به الخيرَ خيرًا والشرَّ شرًّا، وإذا وقفتَ بين يديه وقد نسيت أن تذكره جاءتك الخواطرُ من كلِّ حَدَبٍ وصَوْبٍ.

إنَّ الصلاةَ تنهى عن المعاصي ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٥]، والصلاة وعيٌ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [سورة النساء: ٤٣]، والصلاة مناجاةٌ وقُرْبٌ من الله عزّ وجل، لقول رسول الله ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ». مسلم عن أبي هريرة.

فصلاة المؤمنون حقًّا هي خشوع لله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾.

تصور أنك تقابل إنسانًا له مكانة، كيف تقابله؟ هل تعبث أمامه بسُبحةٍ؟ هل تتمطى أمامه؟ هل تتثاءب؟ لا! هل تفكر في غير موضوع المقابلة؟ فكيف إذا وقفت بين يدي الله عزّ وجل؟ الخشوع، السكينة، والوقار من لوازم الوقوف بين يدي العزيز الجبار.. الرحمن الرحيم...

الخشوع ليس من فضائل الصلاة، لا.. بل هو من فرائض الصلاة، فلو اختلَّ الخشوع اختلَّت الصلاة.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾.

اللَّغْوُ - في أجمل تعاريفه -: كلُّ ما سوى الله، أيُّ عملٍ ينتهي أَثَرُهُ بالموتِ فهو لَغْوٌ، وأما إذا امتدَّ أثرُهُ بعدَ الموتِ فهو حقٌّ، فكُنْ مع الحقِّ دائمًا.. في حديثك، في مزاحك، في حركتك، في غضبك، في رضاك، في

لَهْوِك، في عملك، في تفكيرك، في نشاطك، كنْ مع الحقِّ دائمًا، كنْ مع عملٍ إذا فعلته امتد أثرُهُ إلى الآخرة، أما هذا الذي يعمل عملًا ينقطع عند الدنيا فهو لغوٌ.

وثَمَّةَ لغوٌ بالأقوال، ولغوٌ بالأعمال، ولغوٌ بالنشاطات، والمؤمن يجب أن يستهلك وقته، وجهده، وذكاءه، وعمله، وعضلاتِه في سبيل مرضاة الله عزّ وجل.

قال بعض العلماء: اللغو هو المُباح الذي لا جَدوى منه في الآخرة.

قد تجلس مع أُسْرتك، ويطرقون بحثًا لا جدوى منه، من تزوجَ؟ لماذا طلَّقَ؟ ماذا قدَّم لها من مَهْرٍ؟ ولماذا نشب خلافٌ بينهما؟ وأين أسكنها؟ هذا كلامٌ لا جدوى منه، والمؤمن يترفَّع عن اللَّغو؛ لذلك قال عليه الصلاة والسلام: «مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ». الترمذي عن أبي هريرة.

وبعض المفسرين يقول: المباحات التي لها علاقةٌ بالآخرة ليست من اللَّغو، فكلُّ واحدٍ منَّا له عمل، هذا العمل أساسٌ، وكَسْبُ الرزقِ ضروريٌّ لاستمرار الحياة، وقد قال سيدنا أبو ذرٍّ رضي الله عنه: «حبَّذا المالُ أَصُونُ به عِرضِي، وأتقرب به إلى ربِّي».

يقرأ المهندس كتبًا هندسية ليكون متفوِّقًا في عمله، لأنه مؤمن، والمؤمن عادة تكون الأضواء مسلَّطة عليه، فإذا كان في عمله خَلَلٌ أو تقصير، أو كانت معلوماتُه ناقصةً، تطاول الناسُ على دينه، فإذا تفوَّق عليهم باطلاعه على أحدث المقالات في إنشاء العمارات، فهذا ليس من اللغو...

إذا اعتنى أحَدُنا ببيته، وجعله مُرِيحًا لأهله، هذا ليس من اللغو،

وليس من العمل العابث، فالمؤمن لا يعيش على هامش الحياة - كما يتصور الناس -، ولا هو ساذج يرضيه كلُّ شيءٍ، المؤمن ذوَّاقٌ، وذوقه رفيعٌ، وأموره منضبطة، وبيته مرتب، ومحله التجاري مرتب، فإذا اعتنى الإنسان بحياته عناية طبَّق فيها الشرع فليس هذا من اللغو، إنما اللغو هو العمل الذي لا يمتُّ إلى دنيا، ولا يمتُّ إلى دين.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ ﴾.

أي: يُنفِقون من أموالهم من أجل تطهيرها ليتوصلوا إلى تطهير نفوسهم بهذا الإنفاق، فهناك طهارتان: طهارة المال، وطهارة النفس، والمال الذي يزكَّى عنه هو مالٌ طاهر يحفظه الله سبحانه وتعالى، والذين دفعوا زكاةَ أموالِهم وتقربوا بها إلى ربهم فأقبلوا عليه زَكَتْ نفوسُهُم، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [سورة آل عمران]، مَن هم المتقون؟ ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٤]، لماذا بدأ اللهُ سبحانه وتعالى وَصْفَهُم بأنهم ينفقون في السرَّاء والضرَّاء؟ لأن الإنفاق هو الذي يؤكِّدُ صِدْقَ إيمانهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ ﴾.

سُمِّيت الصدقةُ صدقةً لأنها تعبر عن صدق صاحبها، وسمّيت الزكاة زكاة لأنها تزكو بالنفس، فالزكاة والصدقة إنفاق، والإنفاق يؤكِّد الإيمان، الإيمان له مظهر قلبيٌّ هو التصديق، ومظهر شعوريٌّ هو الإقبال، وله مظهر عمليٌّ هو العمل الصالح، والالتزام بشرع الله عزّ وجل، لذلك هؤلاء المؤمنون هم للزكاة فاعلون.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾.

سبحان الله! قال العلماء: إن اللهَ سبحانه وتعالى ربط فَلَاحَ الإنسانِ بحفظِهِ لفَرجِهِ.

هذه قضية أساسية، قال الله عزّ وجل في آية أخرى: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡ﴾ [سورة النور: ٣٠].

قد يمتنع الإنسانُ أحيانًا عن السرقة لأنَّ ثَمَّة قوانينُ شديدةٌ جدًّا تعاقب السارقَ، فهذا الذي لا يسرق لا تدري لِمَ لمْ يسرق؟ أخوفًا من الله عزّ وجل؟ أم خوفًا من عقابٍ شديد؟ الله أعلم، لكن الذي يَغُضُّ بصرَهُ عن محارم الله فهو بدافعِ خوفِ الله قطعًا؛ لأن القوانين الأرضية لا تَحْظُر إطلاقَ البصر، وغَضُّ البصر طريقُ حفظِ الفرج، وهذا يؤكِّد محبتك لله عزَّ وجل وإخلاصك له، وهو من الإيمان.

إنَّ مَن ترك هذه النظرة في سبيل الله أذاقه الله حلاوةً في قلبه إلى يوم يَلْقاه.

والله عزَّ وجل لم يَدَعْ شهوة أودعها فينا إلا جعل لها قناةً مشروعةً نظيفة، شهوةُ النساء لها طريق الزواج، شهوة المال لها طريق الكَسْبِ المشروع، شهوةُ العُلُوِّ في الأرض لها طريق العلم، قال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝١١﴾ [سورة المجادلة].

﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧﴾.

المؤمن مُبـاحٌ له أنْ ينظرَ إلى امرأته بأيَّة نِيَّةٍ؛ لأن هذا مباح له. أما (ما ملكـت أيمانكم) - وهـذه مضى وقتها - ففي أثناء الفتوحات الإسـلامية كان ثمـة أحـكامٌ دقيقة جدًّا لِمُلْـكِ اليمين، أُسِيءَ فَهْمُهـا فيما بعد، وأسيء تطبيقُها، وأصبحت مأخذًا على المسـلمين، وليس على الإسلام؛ حيث إنه لاحقًـا في عصور التخلُّـف والانحطاط أصبح ملك اليمـين منحرفًا عن القصد الذي أراده الله عزَّ وجل، وعن الطريقة التي أقرَّها الشرع.

هذا الذي ينظر إلى امرأةٍ لا تَحِلُّ له يعتدي عليها، ويعتدي على نفسه، ربما أغواهـا، أو منَّاها، وربما جعلها تعيش في أحلام وهو لا ينوي الزواجَ منهـا، هذا عُدوان، أكثرُ الناس يبالغون في التلطف مع المرأة، ويسـمعونها كلماتٍ مَعْسُولَةً، هذا ليس من الإيمان في شيء، هذا عدوان، لطفك الزائد، ونعومتك، ومزاحك اللطيف اجعله لزوجتك، هنا القناة مسموحة.

ولا يحـل لامرأةٍ أيضًـا أن تُلِينَ القولَ لرجُلٍ لا يحـل لها، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الأحزاب]

هذه قضايا دقيقة جدًّا، فالإنسان من أين يُؤْتَى [يأتيه الغلط]؟ معظَمُ المسلمين لا يشربون الخمرَ، ولا يلعبون القِمار، ولا يسرقون، ولكن المأخَذَ الذي يأخذهم منه الشـيطانُ هو النسـاء، وفي الحديث: «مَـا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ». البخاري عن أسامة بن زيد.

الآية دقيقة جـدًّا: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾، يدخل وراء (ذلك) كلُّ أنواع الانحرافات...

ومـن صفات المؤمـن أيضًـا: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾﴾.

الأمانة موضوع دقيق جدًّا، يقول الله عزّ وجل: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾﴾ [سورة الأحزاب].

أنت في هذه الدنيا سخر لك الله السماوات والأرض وما فيها وأودع فيك الشهوة وأنزل على أنبيائه الشرع لتبيان طريق الهداية والفلاح ومنحك العقـل وحريـة الاختيار، فالشرع والكون والشـهوة هـذه كلها مقومات التكليف وأودع نفسك أمانة بين يديك كي تزكيها...

قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [سـورة الشمس]. وهذه أرقى أنواع الأمانات وهي التي عناها الله هنا.

وهنـاك أمانة التبليـغ، هذه الأمانة حملها الرسُـلُ والأنبيـاء، فبَلَّغوا رسالاتِ الله، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الأحزاب].

وهنـاك أمانـة الأداء، وهي التي أُوكِلَـتْ إلى العلماء، وقـد أخذ اللهُ عليهم العهدَ لَيُبَيِّنُنَّهُ للناس ولا يكتمونه.

وهناك أمانة الواجب، فكلٌّ منَّا له عمل يقوم به، فالنجار، والخيَّاط، والمـدرِّس... كلُّ هؤلاء لهم أعمال، وأداؤهم لأعمالهم على الوجه الأكمل أمانةٌ.

وهنـاك أمانـة المجالس، فإذا حدَّثـك أخوك حديثًا، ثم سـمع وقع خطـواتٍ فالْتَفَتَ فهذا الحديث بالأمانة حكمًا، ولو لم يقل لك: احفظ هذا الحديث، ولا تنقله عني.

وهناك أمانة الأُسْرة في البيوت...

والأمانـة بمعنى الوديعة التي تُـودَعُ عندَك، هذه أداؤها من الأمانة، فالأمانة واسعة جدًّا، وكلُّ إنسان يخون أمانة التكليف، أو أمانة التبليغ، أو أمانـة الأداء، أو أمانة الواجب، أو أمانـة المجلس، أو أمانة الأسرة... فهو ليس من المؤمنين الكاملي الإيمان.

ومن صفات المؤمنـين أيضًا في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ ﴾.

إنهـم يحافظون على فرائضها، وسُـننها وركعاتها، وعلى خشـوعها، وعـلى أدائها في أوقاتها، ولكن يضيف بعض العلماء إلى هذه المُحافظة أنهم باسـتقامتهم على أمر الله يحافظون على الاتصال بالله عزَّ وجل. ومَنْ خَرَقَ اسـتقامَتَهُ مع الله عزَّ وجل أخلَّ بصَلاته، وأصبحت صلاتُه جَوْفاءَ شكليَّةً لا جدوى منها.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾.

إذا أردتَ أن تكون مؤمنًـا متحلِّيًا بصفات المؤمنين، وارثًا لفردوس رب العالمـين، فتعـرَّف إلى الله عن طريقِ الكون، فالله سـبحانه وتعالى بيَّن

الهدفَ، ورسمَ الطريق، الهدفُ أن تكون مؤمنًا خاشعًا في صلاتك، مُعْرِضًا عـن اللَّغْو، فاعلًا للزكاة، حافظًا لفرجك، راعيًا لأمانتك وعهدك، محافظًا على أداء صلواتك في أوقاتها، أما الطريق إلى هذا الفردوس فانظر إلى آيات الله، إنّ الله سبحانه وتعالى يبيِّن لنا أن طريق الإيمان به أن تقف عند كل آية تسـتجلي وجهَ العظمة فيها، فكلما ارتقت معرفتك بالله خشـع قلبك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [سـورة فاطـر: ٢٨]، فإذا أردتَ أن تكون في صلاتك خاشعًا فتأمَّل في ملكوت السماوات والأرض.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾.

(الإنسـان) مطلق إنسـان، وبعض العلـماء يقولون: المراد الإنسـانُ الأوَّلُ، سـيدنا آدم؛ لأن الله سـبحانه وتعالى خلقه من طين، والسلالة هي الخليـط، أي: أنـواع من الطين جمعها اللهُ سـبحانه وتعـالى، ونفخ فيها من روحه، فكانت سـيدَنا آدم، هذا تفسـير.. وهناك تفسـير آخر: (السلالة) بمعنى السلسـلة، من طين، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، هذه مراحل مرّ بها خَلْقُ الإنسان.

وعلى كلٍّ فالإنسـانُ الأولُ خُلِقَ من طين، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى شاء أنْ يجعل تكاثُرَ ذُرِّيَّته عن طريق التوالد.

إنَّ الإنسـان أحيانًـا يعلو ويطغى، وينسـى أنه مخلـوق من طينٍ من صلصال، ينسـى أنه من مـاءٍ مهين خرج من عورةٍ، ودخـل إلى عورةٍ، ثم خرج من عورة!

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ﴾.

نظـام التكاثُر يعتمد على أسـاس النطفـة، وفي اللقاء الواحـد يُفْرِزُ الإنسـان أكثر من ثلاثمئة مليون حوين منوي، وهذه الحوينات تنتقل من عُنِـق الرحـم إلى القنوات إلى أن تلتقي بالبويضة، والـذي حيَّر الأطباء أن هذا الحوين الضعيف الذي خلقه الله من رأسٍ مدبب من أجل أن يخترق، وذيلٍ مُتَعَرِّج من أجل أن يتحرك كيف يخترق البويضة (عند المرأة)؟

اكتشف العلماء مؤخرًا أنَّ في رأس كلِّ حوين منوي مادةً تذيب جدار البويضة، فإذا ارتطم هذا الحوين المنوي بجدار البويضة ذاب جدارها فإذا دخل إليها أُغْلِقَ الباب وانتهى الأمر.

ثـم إن الرحِمَ مُحاطٌ بجدرانٍ عظميةٍ، فعظـام الحوض في المرأة تحيط بالرحم من كل جانب؛ فهو قرارٌ مكين، وهناك أربطةٌ تربط الرحم من كل الجهات بحيث لا يتأثَّر بحركة الأم؛ فهو قرار مكين...

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ...﴾.

هـذه النطفـة ينشـأ لهـا اسـتطالاتٌ، وجـدار الرحـم يغـذِّي هذه الاسـتطالات، ويرحِّب بها كـي تعلق البويضـةُ الملقَّحة، فعندئذٍ تسـمى علقة، لا لأنها قطعة دم جامدة، بل لأنها تعلق على جدار الرحم بمجموعة وسائل بعضها من الرحم، وبعضها من العلقة نفسها.

﴿...فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَـةً ...﴾.

عندئذٍ تكبر هـذه العلقة، ويتوضَّح بعض معالم الجنين، يبدو رأسـه وجذعـه فقط، يبدو في رأسـه عينان، يبدو في جذعـه القلب، هذه المضغة

قطعةٌ من اللحم فيها ملامح أولية لتخليق هذا الجنين.

﴿...فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ...﴾.

ثم تنشأ العظام، وبعدها تُكسى هذه العظام باللحم، وتنشأ العضلات.

﴿...ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ...﴾.

تجمُّع الحوين المنوي مع البويضة لا يُرى إلا تحت المِجهَر، وهذا الذي لا تراه الآن بعينك ستراه بعد تسعة أشهر طفلًا كامل الخَلْق، تكوينٌ يأخذ بالألباب، بعدئذٍ هذا الطفل يبتسم، بعدئذٍ يأكل، يبحث عن الطعام، يلتقم ثدي أمه، ثم يستجيب للصوت، يستجيب للضوء، بعدئذٍ يتكلَّم، يحاول أن يمشي، وما زال الإنسان يرقى في مدارج المعرفة إلى أن يصبح إنسانًا سويًّا.. مَنْ طوَّره من حالٍ إلى حال؟ الله سبحانه وتعالى..

ثم حُمِّل هذا الإنسان الأمانةَ، وهي التكليف، فهو مكلَّف ليعرف اللهَ عزَّ وجل، وليزكِّي نفسه... هذا الإنسان مخيَّرٌ، وهذا الكون كلُّه مسخَّرٌ من أجله، هذا خلق آخر.

جنين الحيوان يكبر ويكبر، وبعد ذلك تحدث الولادة، لكنه يبقى حيوانًا لا يرتقي...

﴿...فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾.

بعضهم يقف عند هذه الآية وقفة: كم مِن خالق في الأرض؟! القضية

بسيطة جدًّا، الخلق بمعناه الدقيق أن تصنع شيئًا من لا شيء، لا أن تصنع شيئًا من شيء، وعندما خاطب ربنا سيدنا عيسى عليه السلام وقال: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾ [سورة المائدة: ١١٠] معناه: أن تأخذ نِسَبًا معينة من بعض المواد تصنع منها شيئًا، الخَلْقُ بهذا المعنى الإنسانُ أيضًا يساهم فيه، لكن ما يصنعه الإنسان قابلٌ للتعديل والتبديل والتطوير في أيِّ وقت، أما خلق الله فلا يمكن خلق مثله إطلاقًا. ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾.

وهنا سؤال دقيق: هذا الخَلْقُ العظيم بعد هذا يموت؟!! ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾.

هذا موت مُؤَقَّت، وبعده حياةٌ أَبَدِيَّةٌ في الآخرة، فالإنسان خُلق لكي يحيا حياةً أبدية، أما الحياة الدنيا دون آخرة فيصعب تفسيرها.

هذه مشيئة الله، كلُّ مخلوقٍ يموت في هذه الحياة الدنيا، ولا يبقى إلا ذو العزَّة والجبروت.

الأنبياء يموتون، والأغنياء يموتون، والفقراء يموتون، والذين يعتنون بصحتهم العناية الفائقة يموتون، والذين لا يعتنون يموتون، والذين يغامرون يموتون، والذين لا يغامرون يموتون، الموت حق.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾.

لولا البعثُ بعد الموت لما كان للحياة معنى؛ لأن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق وابتلاهم للامتحان، فوزَّع الحظوظ في الدنيا توزيع ابتلاء،

وسيوزِّع الحظوظ في الآخرة توزيع جزاء.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾.

السماوات التي فوق الأرض هي سبع سماوات، إما سبعٌ بالعدِّ الصحيح، وإما سبعٌ بمعنى الكثرة، والعرب تذكر العدد (سبعة) وأضعافه للكثرة، سبع سماوات أي: سماوات كثيرة، وعلى كلٍّ فهناك مجموعة طبقات فوق الأرض، من طبقة الهواء الأولى، التي يزيد سمكها على ثمانية عشر كيلو مترًا، فيها الرياح، والسحب، والأمطار، والثلوج، والبَرَد.

والطبقة الثانية فيها مواد كبريتية تلقِّح الأمطار، وعن طريقها يصبح الغيم مطرًا، وبعدها توجد طبقة الأوزون لامتصاص الإشعاعات القاتلة، وبعدها توجد طبقة التأين، بحيث أن كل جسم من السماء إذا وقع على الأرض يتشهَّب [يحترق] في هذه الطبقة، وبعدها توجد طبقة السحب القطبية، إلى ما هنالك من معلوماتٍ دقيقة يختصُّ بها بعض علماء الفلك...

ربنا عزَّ وجل جعل السماء فوقنا طبقاتٍ، وكلُّ طبقةٍ لها وظيفة، وهذه الوظائف جمعت في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٢]

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

قال العلماء: (بقدر) أي: بنِسَبٍ ثابتة، تركيب الماء: الهدروجين والأوكسجين، ذرتان لذرة، هذا التركيب مُعْجِز، هذا التركيب مؤلَّف من

عنصر مشتعل وعنصر يساعد على الاشتعال، وبه تُطفَأ النارُ، لذلك فإنَّ أيَّ تعديل في بنية الماء تصبح المياه كُلُّها لهيبًا.

يقول علماء الجيولوجيا: إنه في العصور المطيرة بقيت السماء تهطل عشرات آلاف السنين بشكلٍ مستمر على الأرض حتى تشكَّلت البحار.

يهطل المطر في بلد مئتا ملليمتر، وفي بلد آخر خمسون ملليمتر، كلُّ منطقة لها كميةُ أمطار مناسبة، وكلُّه بقَدَر.

وكذلك وقت نزول الماء هو مُقَدَّر، لو نزل الماء في غير أوانه لكان مؤذيًا، ولم نستفد منه، وكان نزوله عبثًا، فأصبح لكلمة (بقدر) ثلاثة معانٍ: بنِسَبِهِ، وكميَّتِهِ، ووقتِهِ.

مَنِ الذي جعل في الأرض طبقاتٍ، طبقةً صخريةً، وبعدها طبقةٌ نافذة، وبعدها طبقةٌ صخريةٌ، وبعدها تربةُ الأرضِ؟!

لو لم تكن تلك الطبقة الصخرية في الأسفل لغار الماء، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الملك]

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾.

لولا هذا الماء لما كانت الجنائن، ترى أرضًا صحراوية في داخلها مزرعة كلها أشجار وأزهار؛ السبب هو الماء الذي أوجده اللهُ في آبارٍ جوفية، هو الذي جعل من هذه الأرض القاحلة جنةً على وجه الأرض، لا يوجد مكان فيه خَضَار إلا وفيه ماء نبع، أو نهر، أو أمطار... هذه

(لكم)، من أَجْلِكم، إكرامًا لكم، فالإنسان عندما يأكل فواكه، أو ثمارًا، أو خضراواتٍ أو عندما يشرب كأسًا من الماء فإن هذا مخلوق خِصِّيصًا له.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

هذا الزيتون، ومنه أرقى المواد الدسمة: (الزيت)، كأنَّ الله سبحانه وتعالى أشار إلى أن هذه الشجرة قد وجُدت في طور سيناء، أي: في الجبل الذي كلَّم اللهُ فيه موسى في مصر.

و (الصِّبْغ) هو الإدام المائع، والمراد هنا: زيت الزيتون، وهو من أرقى أنواع المواد الدسمة، فربُّنا عزَّ وجل جعل من الزيتون آيةً دالَّةً على عظمته.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا ... ﴿٢١﴾﴾.

هذا الحليب من الأنعام (الإبل والبقر والغنم) تشربه مثلَّجًا في الصيف، تأكل في الشتاء من الحلويات الساخنة المصنعة من الحليب، وتأكل الجبن واللبن والسمن والقشطة، والزبدة، كل هذه النعم من الحليب، وحتى هذه الساعة لا يعلم العلماءُ ماذا يجري في خلية البقرة، التي تصنع الحليبَ، قال تعالى: ﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة النحل].

هذه الأنعام نفسُها: ﴿..وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾﴾، آخر أيامها تُذبَح فتُباع لحمًا، وجلدُها يصير أحذيةً، وأشياء كثيرة من أحشائها نستفيد منها.

﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

ربُّنا عزَّ وجل حمل الإنسان في البَرِّ على الإبل والبقر، وحمله في البحر على السفن، وخلق مركبات أخرى لم يعلمها الإنسانُ في الماضي، بل سيأتي بها اللهُ سبحانه في المستقبل، كالسيارات والقطارات والطائرات إلى ما هنالك... ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة النحل]

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

أرسل الله سبحانه وتعالى الأنبياءَ والرسُلَ رحمةً بعباده، وإكرامًا لهم، للنُّصح والبيان والتوجيه... وأعطانا حرية الاختيار، قال الله عزَّ وجل: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [سورة الكهف: ٢٩]، وسخَّر لنا الكون، ومنحنا العقل، وجعل فينا الشهوة، لولا أن كان الإنسان مخيَّرًا لما ارتقى إلى الله عزَّ وجل، ولو أن الله أجبر عباده على الطاعة لبطل الثواب، ولو أجبرهم على المعصية لبطل العقاب، إنما خيرهم، إذًا هناك مقوِّمات التكليف.

هذه الآية يَذْكُر الله لنا فيها أنه أرسل سيدنا نوحًا أوَّل الرسل الذين هم من أولي العزم.

﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

الرسول معه رسالة موجَّهة إلى أمَّته، هذه الرسالة هي: عبادة الله وحده، ولا تسمَّى عبادة الله عبادةً إلا إذا كانت عبادةً قاصرةً على الله عزَّ وجل، فَمَنْ عبد الله وعبد معه غيره لا يسمى عابدًا لله، بل يسمى مشرِكًا،

والدليل في سورة الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [سورة الفاتحة]، لم يقل الله عزَّ وجل: نعبد إياك، بل قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، أي لا نعبد إلا الله.

والعبادة في أدقِّ مفاهيمها: التوجُّه إلى الله بعد طاعته، أي: تطيعه وتتوجَّه إليه، ولن تطيعه إلا إذا عرفتَه، ولن تعرفه إلا إذا فكَّرت في ملكوت السماوات والأرض.

عِلَّة الخلق أن تعبد الله، فلا بدَّ أن تؤمن بالإله خالقًا، ولا بدَّ أن تؤمن به ربًّا، ولا بدَّ أن تؤمن به مسيِّرًا، وإذا عبدته فقد فعلت كلَّ شيء، وإن لم تَعْبُده لم تفعل شيئًا، وخسرت الدنيا والآخرة، وخسرت نفسك.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٤﴾.

الزعماء الجبَّارون غالبًا ما يصدُّون عن سبيل الله، يصدون الناسَ عن سماع الحق من الرُّسُل، مُحتَجِّين أنَّ النبيَّ إنسانٌ عاديٌّ مثلكم، ولكنه يحبُّ الزعامةَ والعلوَّ في الأرض...

لو أن الله سبحانه وتعالى أنزل مكان هذا النبيِّ الكريم مَلَكًا، وأمرهم بغضِّ البصر – مثلًا – ماذا يقولون له؟ يقولون: أنت مَلَكٌ، ونحن بَشَرٌ، إذًا لا بدَّ أن يكون النبي من بني البشر ليكون هو بذاته حجَّةً على قومه، فالله سبحانه وتعالى أودع في نفس النبي عليه الصلاة والسلام من الشهوات ما أودع في كل إنسان، لماذا ضبطها هو، وارتقى بها إلى الله؟ ولماذا غيره انساق معها فألقته في الهاوية؟ هو الاختيار.

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ٢٥﴾.

يقولـون: هذا شيء مُخْتَلَقٌ وافتراء، هذا رجل به جِنَّةٌ، أي: به جنون، فغدًا سـيموت، وسـوف ترتاحون منه، انتظروا موته بعد مدة قصيرة من الزمن...

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٢٦ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا... ٢٧﴾.

قال سـيدنا نوح: هؤلاء كذبوني يا رب، سخروا مني، ردُّوا دعوتي، لم يستجيبوا لي، أعرضوا عن دعوتي، انصرني عليهم، بَيِّنْ لهم صِدقَ دعوتي يا رب...

والوحي هنا: هو الأمر، الله سبحانه وتعالى أَمَرَ هذا النبيَّ الكريم أن يصنع سفينةً، والله سبحانه وتعالى رقيبٌ عليه ويُعلِّمه كيفيةَ صُنعِها.

﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ... ٢٧﴾.

﴿أَمۡرُنَا﴾: أي: هـلاك هـؤلاء القوم، وكانت علامـة بدء الهلاك أنَّ التنور الذي هو موقد الخبز يفور بالماء (بمعجزة من ربنا).

﴿...فَٱسۡلُكۡ فِيهَا... ٢٧﴾.

أي: احمل على السفينة...

﴿...مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ... ٢٧﴾.

أي: من كل حيوانٍ أليفٍ تحتاجه أدخل فيها منهم زوجين اثنين.

﴿...وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ... ﴿٢٧﴾﴾.

في آية أُخْرى في سورة هود: ﴿...ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۗ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة هود] فَذَكَرَ (مَنْ آمن)، وفي هذه الآية ذكر أهلَه فقط، هذه إشارةٌ إلى أن المؤمنين هم أهله.

﴿... وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

قال تعالى: ﴿... وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ...﴾ [سورة الرعد:١١]..

لأن ربنا رحيم وحليم فحينما يأمر بإهلاك قومٍ فمعنى ذلك أنه قد نبَّههم وذكَّرهم كثيرًا، فلا جدوى من الاستمرار في تذكيرهم.

الله يتلطَّف بالمؤمن، كلُّ غلطة صغيرة وراءها عقاب صغير، وقد ورد في الحديث: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ». (رواه الترمذي)

إذا ارتكب الرجلُ جريمة كبرى، وحُكِم عليه بالإعدام، وصُدِّق القرار، وسيق إلى التنفيذ، فسواءٌ بكاؤه، أو رجاؤه، أو توسُّله... كل ذلك لن ينفعه؛ فقد انتهى الأمر.

المسلم يكون في أمانِ قولِه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ...﴾ [سورة الأنفال: ٣٣]، أي: ما دامت محبتك - يا محمد - في نفوسهم فالله لن يعذبهم، وما دامت سنتك قائمةً في حياتهم فلن يُعَذَّبوا.

﴿...وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٢٧﴾.

انتهى الأمر.. سيغرقون لظلمهم، ربُّنا عزّ وجل يرسل الأنبياء، والرسل، ويحذِّر وينذِر، ويسوق بعض المصائب، قال تعالى: ﴿... أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ...﴾ [سورة فاطر: ٣٧]، الشيب نذير، موت الأقارب نذير، المصائب نذير، القرآن نذير، النبي الكريم نذير...

﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٨﴾.

وهذه ليست خاصةً بقوم سيدنا نوح؛ إنها عامةٌ لكل المؤمنين، عندما دخل سيدنا يونس إلى بطن الحوت ﴿... فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [سورة الأنبياء]، في كل زمانٍ ومكانٍ اللهُ سبحانه وتعالى يتفضَّل وينجي المؤمنين من كل كَربٍ.

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ٢٩﴾.

إذا دخل الإنسانُ بيتَه ووجده مريحًا، زوجتُهُ وأولادُه في البيت، والصِّحةُ جيدةٌ، ولديهم طعامٌ وماءٌ، البيت دافئٌ في الشتاء... فإن هذه نِعَمٌ كبيرةٌ جدًّا، ﴿... وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ...﴾ [سورة إبراهيم:٣٤]، الحمد لله دائمًا، وفي كل حال...

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبۡتَلِينَ ٣٠﴾.

الحياة ابتلاء [اختبار]، وجوهر الحياة في الابتلاء، سيدُنا نوح والذين آمنوا معه ابتُلوا فآمنوا، واستقاموا فنَجَوا، والذين عاصروه من الكفار ابتُلوا أيضًا فكفروا، وأعرضوا وكذبوا فخسروا الدنيا والآخرة.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

الدعوة واحدة، وهذه فحوى دعوات الأنبياء جميعِهم، والذي يلفت النظر أن هذه القصة الثانية (القرن الآخرين) لم يُذكَر فيها اسمُ القوم، ولا اسم النبيِّ الذي أُرسِل إليهم، وقيل: إنهم قوم عاد، وأرسل الله لهم رسولًا -سيدنا هود- عليه السلام يدعوهم إلى الله، فكذبوه.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا..﴾.

﴿ٱلْمَلَأُ﴾: هم الجماعة والعشيرة مِن أشراف القوم، و (كفروا): كذَّبوا وأعرضوا، وآذوا من معاني الكفر: التكذيب باللسان، والإعراض بالقلب، من لوازم الكافر أنه يُكَذِّب بالآخرة، ولو آمن بها لانضبط سلوكُه، ومن لوازم المؤمن أنه يؤمن بها.

﴿.. مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

هم وجدوا أن النبيَّ رجلٌ كبقيَّة الرجال، يأكل ويشرب! وعندهم أن الحياة طعامٌ وشراب، إذًا هو إنسان، وغَفَلوا عن أن هناك حياةً نفسيةً عاليةً جدًّا، حياة عقلية.

فحينـما رأى هؤلاء الكفار أن هذا النبـيَّ الكريم يدعوهم إلى الله عزَّ وجـل وهو يأكل كما يأكلون، ويـشرب كما يشربون ظنّوا أنَّ تناوُلَه للطعام وشُرْبَه للماء مما يقلِّل من شأنه، فقال الله لهم: لا.

أن يأكل الإنسان ويشرب بشكلٍ معقول، هذا شيءٌ مقبول.

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

سـيدُنا الصِّدِّيق رضي الله عنه ألقى خطبة الولاية فقال: «لقد ولِّيتُ عليكم، ولسـتُ بخَيْرِكم، إن أحسـنتُ فأعينوني، وإن أسـأتُ فقوِّموني، الصدقُ أمانةٌ، والكذبُ خيانـةٌ، أطيعوني ما أطعت اللهَ فيكم، فإن عصيتُه فلا طاعـة لي عليكم»، فالطاعة إذًا إنما هي طاعةٌ لله عزَّ وجل، والدعاة إلى الله لا يُطاعون، بل يُطاع الله في كلامهم.

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

هؤلاء القوم يسـتهزئون بهذا الوعد العظيم بأن الله سـبحانه وتعالى جعـل الدنيـا دار عمل وجعل الآخرة دار جزاء، جعـل الدنيا دار تكليف وجعل الآخرة دار تشريف...

هل تسـتقيم العقيدة عـلى أن الدنيا هـي كل شيء؟ إن الدنيا قصيرة فيها الغنـي، وفيها الفقير، فما ذنب الفقير؟ فيهـا القوي، وفيها الضعيف، فـما ذنب الضعيف؟ ... فلولا الإيمان باليوم الآخـر لما كان لهذه الحياة من معنى، أمـا أن يكون هناك حياةٌ أبدية أخروية يتحدد فيها مصير الإنسـان بحسب طاعته لله في الدنيا عندئذٍ تستقيم الأمور، وتأتي العقيدة الاسلامية متوافقةً مع العقل والمنطق...

﴿هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ٣٦﴾.

﴿هَيۡهَاتَ﴾: اسم فعل، بمعنى بَعُدَ، هذا الذي توعدون لن يقع، ما أبعد أن يقع، ما أبعده من المنطق، هكذا يدَّعون.. وهيهات الثانية تأكيد للأولى.

﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٣٧﴾.

هكذا الكافر، سواءٌ عليه أَصَرَّح بهذا، أم لم يُصَرِّح، وهذه العقيدةٌ فاسدةٌ، وهي عقيدةٌ تدعو إلى الهلاك.

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ ٣٨﴾.

هذا النبي الكريم الذي يدعوهم إلى الصراط المستقيم.. من وجهة نظر المشركين والكفار هو كذاب..

فالكفَّار دائمًا يكذِّبون الحقَّ، ويبغونها عِوَجًا، ويصدُّون عن سبيل الله.

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٣٩﴾.

قال الرسول: يا رب، لقد كذَّبوني فانصرني أنت يا الله، بيِّنْ لهم الحقَّ، بيِّنْ لهم كذِب دعواهم، فقال الله عزَّ وجل: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ٤٠﴾.

﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤١﴾.

﴿غُثَآءً﴾: هَلْكَى، والغثاء هو في الأصل الزَّبَدُ الذي يلقيه الماءُ.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

ثم جاءت أُمَمٌ، ومن بعدهم أُمَمٌ أخرى، ولكل أمةٍ أجل، [مدة محدودة من الزمن لحياتهم ومن ثَمَّ يموتون]، واللهُ وحده مَنْ يحكم هذه المواعيد ولا رادَّ لحُكْمه.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿تَتْرَا﴾: أي أرسلنا رسلًا وأنبياء متتابعين واحدًا بعد واحد، فربُّنا عزَّ وجل عبَّر عن قهره لهؤلاء الفُجَّار الكاذبين الكفار بصورةٍ رائعة قال: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾، كل إنسان الآن موجود له كيانه، له شخصيته، له مهابته، له تصرُّفاته، له أملاكه، له أمره، له نهيه، فجأةً يتوقَّف قلبه، ويصبح اسمه نعيًا على الجدران، أين هو؟ إنه تحت التراب.. وفي ثانية واحدة يصبح حديثًا، لو بقي في فمه سِنٌّ من الذهب لأخذوه مُتَذَرِّعِينَ بأن الإنسان الحيَّ أولى به، ساعته تُؤخَذ، مفاتيحه، خزانته الخاصة، سيارته، كلها ملك الآخرين.. صار أحاديث.

والمؤمن بعد أن يموت يُصبح حديثًا، لكنْ حديثًا عطرًا، يتحَدَّث الناس عن ورعه، وعن حبه للناس، وعن استقامته، وعن فعله للخيرات، وعن عواطفه الجيَّاشة، وعن رقَّة قلبه، وشتان بين أن يكون أحاديث تشمَئِزُّ [تكره وتنفر] منها القلوب، وأحاديث تطرب لها الروح والنفس...

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

(الآيات): المعجزات، و (السُلطان المبين): العلم الذي أَيَّد اللهُ به سيدَنا موسى وأخاه هارون، ليؤكِّد لفرعون أنه وأخاه رسولٌ من رب العالمين.:

(الملأ): هم أشراف القوم، والأشخاص المقربون من فرعون.

﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

قال فرعون ومَلَؤُهُ: كيف نؤمن؟! إنكار لعلة واحدة: أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ هما سيدنا موسى وهارون؟ أيعقل هذا؟ نحن مُلَّاكُ الأمر، بيدنا زِمَامُ الأمْرِ، هؤلاء القوم الذين هم قوم موسى وهارون مجرد عبيد عندنا.

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

يقول عليه الصلاة والسلام: «...وَلا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبْرٍ...». (مسند أحمد عن ابن مسعود)، لماذا؟ أيُعقَل أنْ يُحرَم الإنسانُ الجنةَ لأن في قلبه مثقال حبةٍ من كِبرٍ؟! نعم؛ لأن مثقال حبةٍ من كبر يتناقض مع العبودية لله، فمن كان في قلبه كِبرٌ فهو ليس عبدًا لله.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

ولقد أعطينا موسى التوراة جملة واحدة في الألواح المنزلة إليه في جبل الطور، لعلهم يهتدون به من الضلال الذي هم فيه...

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿ءَايَةً﴾: حجة لنا على قدرتنا على إنشاء الأجسام من العدم.

﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ﴾: صيَّرناهما للمبيت.

﴿رَبْوَةٍ﴾: مكان مرتفع، ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾: مرتفعة وفي الأعلى منبسطة، ﴿وَمَعِينٍ﴾ أي: فيها نبع ماءٍ عذب...

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾.

الله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فإذا كان هناك خطابٌ إلى هؤلاء الرُسل الكرام في أن يأكلوا من الطيبات ويعملوا صالحًا، فإن هذا الخطاب موجَّهٌ أيضًا - بالتبعية - إلى كل المؤمنين؛ لقول النبي عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرسَلِينَ». (الترمذي عن أبي هريرة).

كلوا من الطيبات، أي: من الأكل الحلال الذي لا شُبْهَةَ فيه.

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾.

كلمة (أمة) في القرآن الكريم لها معانٍ عديدة، أما معناها في هذه الآية فهو المِلَّة والمَذْهَب [الدين].

والمعنى أنَّ كلَّ الشرائع، وكلَّ الكُتُبِ السماوية مُفادها واحد، وفحواها واحدة: (الإسلام لله وحده)، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن

قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأنبياء].

﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

هذه الشرائع كانت في أصولها ومبادئها واحدة، ثم جاء أقوامُ الأنبياء الذين جاؤوا بعدهم فتفرَّقوا، واختلفوا، وناصب بعضُهم بعضًا العِداء، فأصبحوا فرقًا، وأحزابًا، وملـلًا، متباغضين، متباعدين، متنافسين، متبارزين، ومن هنا تضعف الأمة، بينما ربُّنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣].

فإذا كان المؤمنون جميعًا متفقين على أصول الإسلام، واختلفوا في الفروع فإن هذا الاختلاف لخير؛ فهذه الفروع اختلافُها رحمةٌ واسعة، واتفاقها حجةٌ قاطعة.

﴿ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾.

أي: دَعْهُمْ غارقين في شهواتهم، وجهلهم، وعصيانهم، وخصوماتهم، وأُفُقِهِمُ الضيق... وذلك حتى وقت معلوم.

﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

أكبرُ خطأٍ أن يتوهَّم الإنسانُ إذا أمدَّهُ الله بالمال أن الله سبحانه وتعالى قد قرَّبه، لا.. هذا المال ليس من الخيرات، يكون خيرًا إذا أنفقته في طاعة الله.

﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

ليس الخير أن تكون غنيًّا، ولا أن تكون قويًّا، ولا أن تكون ذكيًّا،

ولا أن تكون جميلًا... الخير أن تعرف ربَّ الأرضِ والسماوات وتطيعه..

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

من خشيتهم لربِّهم هم خائفون منه، قيل: «رأس الحكمة مخافة الله»، والذي لا يخاف هو إنسانٌ في تفكيره نَقْصٌ، وكلما ازداد علمك ازداد خوفك، فالذي لا يخاف هو الجاهل، هؤلاء يخافون الله لأنهم عرفوه، فإن لم يخافوه فهذا دليلٌ قطعيٌّ على أنهم لم يعرفوه.. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [سورة فاطر: ٢٨]، وكلما ارتفعت مرتبتك زاد خوفك.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

أي يؤمنون بآيات الله الكونية الدالة على عظمته، وآيات القرآن الدالة على تشريعه.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

هذه الصفة الأخرى، لا يشركون، لا شركًا خفيًّا، ولا شركًا ظاهرًا.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

الوجل: الخوف

ينفق المال وهو خائف، يعاون وهو خائف، يفعل الخير وهو خائف، لماذا هم وجلون؟! يخافون ألا يكونوا بهذا العمل مخلصين.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾.

من هم؟ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾.

ما هي الخيرات إذًا؟ أن تكون ذا مالٍ وبنين؟ أن تكون عاليًا في الأرض؟... لا والله، بل أن تكون مُشفِقًا [خائفاً] من عذاب الله، وأن تكون مؤمنًا بآيات الله، وأن تكون غير مشرك، وأن تؤتي [تعطي] وأنت خائف ألا يقبل الله عملك، عندئذٍ تكون مسارعًا في الخيرات.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

ربنا سبحانه وتعالى لم يُكلِّفنا تكليفًا فيه حَرَجٌ [ضيق وشدة]، كَلَّفَنا أن نعتقد بوجود الله، وبربوبيَّته، وبألوهيَّته، وبأسمائه الحُسنى وصفاته الفُضلى، والكون كلُّه يؤكِّد ذلك، فما أكثر الآيات الدالَّة عليه، ولولا الدليل لوقعنا في حرج، ولو أنَّ في دينه تناقضًا لوقعنا في حرج.

أما تكليف العبادات فجَعَلَ الصلاةَ بِضْعَ ركعاتٍ، ولو أن الصلاة كانت عشرين ركعة في كل وقت لكان في هذا التكليف حَرَج علينا، والصوم ثلاثون يومًا في السنة، ولو كان الصوم المفروض أكثرَ من ذلك لكان عبئًا على الجسم، وفي زكاة المال كلَّفنا بإيتاء اثنين ونصف في المئة بعد سنة كاملة إذا بلغ المال نصابًا، وكذلك الحج مرة في العمر لمن استطاع ذلك استطاعة ماديَّةً وبدنية...

﴿..وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

(الكتاب) بعضهم قال: هو (القرآن)، وبعضهم قال: هو (اللَّوح المحفوظ)، والأَوْجَهُ أنه (كتاب الأعمال)، أي: أعمالك خلال حياتك الدنيا.

هـذا الكتـاب الناطق أبلغ من الكتـاب العادي المقـروء، ولأنَّ هذا الكتاب الناطق ينطق بالحقِّ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا ... ﴿٦٣﴾﴾.

لمـاذا لا يفعلون مـا يُؤمَرون؟ لمـاذا يدَّعون أن هـذه التكاليف فوق طاقتهم... لأن قلوبهم في (غمرة)، أي: هُمْ في تِيهٍ وعمى؛ إنهم مشغولون في شـهواتهم، والإنسـان إذا تشبَّث بشـهوةٍ ما، يسـعى إلى إروائها من أيِّ طريق، ومادام غارقًا في شهوته فلا بدَّ أن ينحرف؛ لأن مَنْطِقَ الشهوة يدعو صاحب الشهوة إلى أن يرويها بحلالٍ أو بحرام!

﴿...وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

أي: لهم أعمالٌ خسيسة، أعمالٌ دنيئة، فهذا الذي لا يعبأ بالدِّين يعتدى على أعراض الناس، يعتدي على أموالهم؛ لأن الشهوة قد استحوذت عليه.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

(المُتْرَفُ): ذو المال الكثير، والمترف دائمًا إنسان بعيد عن الحق، جعل الدنيا أكبرَ همِّه، ومَبْلَغَ عِلْمِه.

و (جَـأَرَ): أي تضرَّع بصوت مرتفع، ولكن هذه الاسـتغاثة جاءت بعد فوات الأوان.

﴿لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

جـاء دعاؤكم وتضرعكـم هذا بعد فـوات الأوان، هـذا لا يُجْدي،

فعلتَ ما فعلتَ، ولم تفكِّر فيما فعلت، استمعوا إلى قول الله عزَّ وجل: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾﴾، وأنتم في الدنيا، وأنتم في بحبوحة ورخاء، كانت آيات القرآن الكريم تُتلى عليكم، أَلَمْ تسمعوا كلامَ الله؟!

ألم تسمعوا هذه الآيات (الكونية)؟! ألم تقرؤوا عن القمر، عن الشمس، عن الأرض... ألم تتأثروا؟!

هذه الآيات (القرآنية والكونية) تكفي لنعرف اللهَ عزَّ وجل، لكن هذا الإنسان يرجع إلى شهوته، يرجع إلى عاداته السقيمة -التافهة-...

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

(سامرًا) حال، أي: تُمْضون أوقاتكم في السَّمَرِ، تسهرون إلى ساعاتٍ مُتَأَخِّرة في الغِيبة والنميمة، وفي كلامٍ فارغ لا معنى له ولا يُرضي اللهَ عزّ وجل، وتَهجُرُون الحديثَ عن الله وأوامره ونواهيه.

كان عليه الصلاة والسلام يَكْرَهُ الحديثَ بعد صلاة العشاء، إلا أن العلماء أجازوا السَّمَر [الحديث بالليل] إذا كان في إصلاح ذات البين، أو في تعلُّم العلم، أو في الأمر بالمعروف أو في النهي عن المنكر، أو في ما يرضي اللهَ عزّ وجل.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ... ﴿٦٨﴾﴾

(القول): هو القرآن الكريم في أَوْجَهِ التفسيرات..

ثمَّة أشخاصٌ يقرؤون القرآن، ويقولون بعد ذلك: اللهم بارك لنا

في مالنـا، يقَبِّلون المصحف من أطرافه السـتة ويخالفونه! لماذا لا يتفكرون فيما يقرؤون؟ لماذا لا يتدبَّرون هذا القرآن؟ لماذا لا يقفون عند حلاله وعند حرامه؟!

﴿..أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

قالوا: (أم) هنا بمعنى (بل)، فيكون المعنى: بل جاءهم في هذا القرآن ما لم يأت آباءهم الأولين.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

كُلُّ هـذا الكـمال للرسـول محمد عليه الصـلاة والسـلام، كل هذه الأمانـة، كل هذه العِفَّة، كل هذه الاسـتقامة، كل هـذا الصدق، كل هذه المكارم، كل هذا الفضل... ألم تعرفوه بعد؟ أخذتم عليه شيئًا؟ هل جرَّبتم عليـه كذبًا قَطُّ؟ هـل جرَّبتم عليه خيانةً قَطُّ؟... ومع ذلك لا تسـتجيبون له..فَلِمَ هذا الإنكار؟!

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ... ﴿٧٠﴾﴾.

يقولـون عن الرسـول: إنه مجنون، قال تعـالى في آية أخرى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾﴾ [سـورة القلـم:٢]، أنت - يا محمد - لسـت مجنونًا.. لا..

﴿...بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ... ﴿٧١﴾﴾.

البعض يريد دِينًا على قَدْرِ شـهواته، فيقول: هذه لا يمكن أن تكون حرامًـا، لا.. هذا تزمُّت [تشـدد في الدين]، من أيـن جئت بها؟ حتى ولو كانت آية قرآنية صريحة ومُحْكَمَةً يقول: لا.. هذا مبالغة، الدِّينُ يُسْرٌ، الدين مَرِن، يقول: إنه مرنٌ حتى يلغي الدِّينَ كلَّه!

الحقُّ حقٌّ، والباطلُ باطلٌ، ولو شَرَعَ اللهُ تعالى للناس دِينًا يتوافق مع أهوائهم وشهواتهم لفسدت السماوات والأرض.

﴿... بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾.

أي: أتيناهم بكتابٍ بَيِّنٍ واضحٍ [القرآن] لو طبَّقوه لرفعَ اللهُ ذِكْرَهُم، وجعلهم في عباده الصالحين، ولكنهم أعرضوا.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

(الخَرَاجُ): الضريبة التي تُؤخَذُ من أموال الناس.

الدعوة إلى الله تعالى ليس عليها رسـوم، بل هي لوجه الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة يس].

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾.

النبي عليه الصلاة والسـلام يدعو أمَّتَه إلى الله من غير مقابل مادي، ويدعو الناس جميعًا إلى الصراط [الطريق] المستقيم الذي لا تَرى فيه عِوَجًا أو خَلَلًا، وهو يؤدي إلى الجنة لا محالة.

فكأنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يَعْجَبُ من هؤلاء المُعرِضين الممتنعين عن الحق كيف يكذبون النبيَّ، ويقفون سدًّا مَنِيعًا ضِدَّ دعوته، وهو يدعوهم إلى صراطٍ مستقيم!

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ٧٤﴾.

لم يذكرِ اللهُ عز وجل عَدَمَ إيمانِهم بالملائكة، ولا عَدَمَ إيمانهم بالرُّسُل، وإنما ذَكَرَ عدمَ إيمانهم باليوم الآخر؛ لأن الإنسان عندما يُلْغِي الآخرةَ من حياته يُلغِي إيمانَهُ، والفرق الدقيق بين المؤمن وغير المؤمن: أن المُؤْمِنَ في كُلِّ حركةٍ وسكنةٍ يَضَعُ في حسابه أنه سوف يقف بين يدي الله عزَّ وجل ليسأله.

(الصراط): الطريق، والمراد هنا الطريق إلى الله تعالى، و (ناكبون): أي مُنْحَرِفون... هؤلاء لا بدَّ أن يعالجهم اللهُ، فربنا سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٥﴾.

معنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى أصابهم بضُرٍّ، لماذا أصابهم بالضُّرِّ؟ لأنه معالجةٌ لهم؛ فالله عزَّ وجل لا يُعَذِّب إنسانًا إلا بسببٍ وجيه، ولحكمةٍ بالغة، فأنت إذا أصابك ما تكره اسأل نفسَك هذا السؤال: ما يفعل الله بهذا العذاب إن كنت مؤمنًا وشاكرًا؟ لا بدَّ أن هناك تقصيرًا في الإيمان.

ثم إن اللهَ عزَّ وجل لو أزال عن الكفار هذا الضُّرَّ، ورفع عنهم هذا البلاء، ماذا سيفعلون؟ سيزدادون طغيانًا، هم طاغون في الشدة والرخاء، فهم بعيدون عن الله عزَّ وجل.

حينما ينحرف إنسان عن طريق الحق يُقَيِّضُ [يهيِّئُ] اللهُ له مصيبةً، هذه المصيبة مهما حاول ردَّها لا يستطيع؛ لأنها من فعل الواحد القهَّار، يُزيحها في حالةٍ واحدة، إذا عاد إلى الله، ورجع إليه؛ لذلك قال سبحانه: ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ...﴾ [سورة الرعد: ١١].

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

(استكان) أي: خضع، هذه الآية دقيقة جدًّا، كلُّ أنواع العذاب التي يسوقها اللهُ للناس في الدنيا هي من أجل أن يستكينوا لربِّهم، أن يخضعوا له، فإذا جاءت الأمورُ على غير ما تريد فراجعْ نفسَك؛ فالله تعالى عادلٌ رحيمٌ غنيٌّ عن تعذيبك، وانظر إلى قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الشورى].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

هذا عذاب الموت، الإنسان يحسب لكل شيء حسابه إلا ساعة الموت، لم تكن في حسبانه، وهذه حالة خطيرة جدًّا؛ لذلك فإن أحدَ أسباب سعادة المؤمن أنَّ هذه الساعة التي لابدَّ من أن تأتي قد أعدَّ لها، وأدخلها في حسابه اليومي.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

وهبك اللهُ السمعَ لتسمع الحقَّ، ووهبك البصرَ لترى آيات الله، و (الأفئدة) هنا بمعنى العقول، ندرك بها المفاهيم.

لماذا خُلِقَت؟ خلقت من أجل أن تعرفه.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

(ذرأكم في الأرض) أي: خَلَقَكُم فيها، جاء بكم إلى الدنيا بالحياة، ويُذْهِبُكُم منها بالموت ثم يجمعكم يوم القيامةللحساب، قال تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ... ﴾.

وكيف تكون الحياة والموت؟ باختلاف الليل والنهار، ومعنى اختلافهما: أن يأتي النهار بعد الليل، وأن يأتي الليل بعد النهار، وهكذا... الموت بعد الحياة...

﴿ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ ﴾.

هؤلاء مثل الأقوام السابقين الذين أسقطوا من حسابهم اليومَ الآخِرَ، وتنكَّبوا [مالوا] عن الصراط، ولم تؤثِّر فيهم المصائبُ، ولم تؤثِّر فيهم العطاءاتُ، هؤلاء ماذا قالوا؟

﴿ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

أي قالوا: هذا كلام فارغ، وهذه غيبيَّات، نحن واقعيُّون، والواقع أن ما بعد الموت غير معروف، فَدَعْنَا منه!

﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

قالوا: هذه خرافات، وهذه بعض الأفكار الشائعة عند الضِّعاف، الإنسان من ضعفه توهَّم إلهًا خلقه، ركن إليه، أما الإنسان إذا سيطر على الطبيعة فهو في غنى عن هذه الأفكار، وعن هذه المشاعر، وعن تلك المعتقدات، هكذا يقول أعداء الدين، ربنا عزَّ وجل قال لهم:

﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

مـن؟ أي: مـن يملكهـا مُلـكًا حقيقيًّا؟ الملـك الحقيقـي ألَّا يكون للمملوك وجودٌ بعيدٌ عن مالِكِهِ، الإنسـان وُجُودُهُ مُسْـتَمَدٌّ من وجود الله عزَّ وجل، لو قال سـبحانه كـن فيكـون، زُل فيزول، فلو قطع عنه الإمداد لحظـةً لانتهى وجوده، وصعدت روحه إلى السـماء، والأرض لو ابتعدت عـن مدارها لهُدِّم ما عليها، مَـنْ يجعلُها في مَدَارِهـا الصحيح وعلى خطِّها المستقيم؟ الله سبحانه.

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

هـذا الجواب البديهي، جواب الفطرة، لا يوجد إلا الله عزَّ وجل هو المالـك، وهو الخالـق، وإذا كان اللهُ عزَّ وجل هو الخالق، وهو المالك، بيده الملك، والتصرُّف، والمصير، فكيف تعصيه؟ تناقض غريب!!

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

العـرش العظيم هـو الذي منه تصـدر الأوامر في تصرفـات الله عزّ وجل، وهذا له بحثٌ طويل -ليس هنا مجاله-.

وهنا لم يقل: (الله)، بل قال: (لله) قياسًا على الآية السابقة: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾، يقول لهم الله سـبحانه: ما دمتم تقولون (لله) فلماذا لا تتبعون أوامر الله؟ أفلا تتقون؟ ثم يقول لهم:

﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ... ﴿٨٨﴾ ﴾.

كل شيء ملكوته بِيَدِ الله عـزَّ وجل، والملكوت غير المُلك، الملكوت هـو المُلكْ مع السـيطرة، فربنا هـو مالك الملك، ومُسَـيِّرُهُ ومُسـيطِرٌ عليه ويدبره كما يشاء سبحانه وبمقتضى حكمته.

﴿... وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

(يجير) أي: يحمي وينقذ، فالله سبحانه يخلِّصك من أيِّ مخلوق، ولكن لا يستطيع مخلوق أن يخلصك من الله سبحانه..

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾.

ما الذي يسحر [يصرف عن التصديق] الإنسان؟ ما الذي يغريه؟ ما الذي يصرفه عن الدين؟ إنها الدنيا.. الدنيا، دارُ مَنْ لا دارَ له، ولها يَسعى مَنْ لا عَقْلَ له، وقد أرسل اللهُ تعالى الرسلَ بالحقِّ فكُذِّبُوا.

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾.

حينما خلق اللهُ السماواتِ والأرضَ لم يكُنْ معه إلهٌ آخَر أعانه، ولا اتخذ اللهُ سبحانه ولدًا بعد أن خلق السماوات والأرض، ولا ينبغي ذلك، ولو كان لانْفَرَدَ كلُّ إلهٍ بمخلوقاته، تَقَدَّسَ وتنزَّه اللهُ عمَّا يَصِفُهُ به المُشرِكون.

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

هو سبحانه عَالِمُ كل ما غابَ عن مَخلوقاته فلم يروه ولم يشاهدوه [الغيب]، وكل ما رأوه وشاهدوه [الشهادة].

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

الآن أمامَنا مجموعةُ آياتٍ تُمَثِّل مشهدًا من مشاهد يوم القيامة [للذين لم ينجوا]، هذا المشهد يبيِّن وَضْعَ المُذْنِب المُقَصِّر، وكيف أن النار تَلفَحُ وجهَهُ، وماذا يقول وهو يتلقَّى العذابَ، وما أُمْنِيَّاتُه، هذه المشاهد عرضها ربُّنا علينا في وقتٍ مبكِّر رحمةً بنا، لننتبه إلى أعمالنا ونحن في الدنيا.

هؤلاء الكُفَّار يتوعَّدهم اللهُ سبحانه وتعالى بالهلاك، فيقول سيدُنا محمد ﷺ ما معناه: يا ربِّ، إذا أريتَني هلاكَ الكفار فلا تجعلني معهم، بل اجعلني بعيدًا عنهم لئلَّا يُصيبني ما توعدتهم به.

﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦﴾.

هذا حال المؤمن، يُقابل الإساءة بالإحسان، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [سورة آل عمران]، يجب أن تَكْظِمُ غيظَك، وأن تعفو عن الناس، وأن تُحسِن إليهم، هذه صفات المؤمنين، وأمَّا هؤلاء المعارضون الجاحدون فالله أعلم بهم منك، ﴿...نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦﴾: بما يصفونك يا محمد، من أنك مُعلَّمٌ، مجنونٌ، ساحرٌ، كاهنٌ، شاعرٌ...

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧﴾.

(الهَمْز): بعضُهم قال: الوسوسة، وبعضهم قال: ساعة الغضب التي يُصْبِحُ فيها الإنسان هائجًا بدافعٍ من وساوس الشياطين.

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾.

ليس للإنسان طريقةٌ يتلافى بها وساوسَ الشياطين إلا أن يستعيذ بالله منهم، ولا يكفي أن تقول بلسانك: (أعوذ بالله)! الأمرُ أكبر من ذلك، لا بدَّ من أن تلتجئ إلى الله، لا بدَّ أنْ تُقبِلَ عليه بقلبك، إذا فعلتَ ذلك أجارك اللهُ سبحانه.

أما مشاهد يوم القيامة فقد بدأت الآن:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾

الإنسان إذا أشرف على الموت [عند الاحتضار] عرف مقامه في الآخرة، فيرى مَقامَهُ في الجنة، أو يرى مكانه في دَرَكَاتِ النار، ومن رأى مقامه من النار سيقول: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾، قال هذا لأنه نَدم.

﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ... ﴿١٠٠﴾﴾.

(كلَّا): أداة نفيٍ وردْعٍ، هذا لن يحصل، قلتَ هذا بعدَ فوات الأوان، وهذه الكلمةُ التي قالها لا تُقَدِّمُ ولا تؤخِّر -في هذا المقام-.

هذه هي المشكلة، نحن الآن في الحياة الدنيا، وما دام القلب ينبض فباب التوبة والمغفرة مفتوح، حتى إذا جاء الموتُ أُغلِقت الأبواب، وأصبح الإنسانُ رهينَ عَمَلِه..

﴿...وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

(البرزخ) -هنا-: الزمن بين الموت ويوم القيامة، والبرزخ إما أن

يكون روضةً من رياض الجنة، وإما أن يكون حفرةً من حُفَرِ النار والكيفية غيب، وكلمة (من ورائهم) تعني أحاط بهم..

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾.

هـذه العلائـق النَّسَـبِيَّة [القرابة] جعلهـا اللهُ في الدنيا كـي نتواصل ويكتسـب الإنسـانُ بها العمـلَ الصالح. يكـون الطفل صغـيرًا يحتاج إلى رعاية، فجعل الله للإنسان أبًا، وأمًّا، وأخًا... ليُعينَ الأبُ ابنَه حينما يكون صغـيرًا، وليُعِـينَ الابنُ أبـاه حينما يكبر... لكـن عند انتهـاء العمل يبقي الجزاء، لذا لا حاجة يوم القيامة للأنساب.

(ولا يتسـاءلون) التسـاؤُل – هنا – بمعنى أن يسـأل المـرء أخاه أن يشفع له، أو أن يساعده.

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾.

أعمالُ العَبْـد الطيِّبةُ تجعل موازينَه يوم القيامـة ثقيلةً، وهذا يعني أنه أفلـح في الدنيـا، وحقق الهدفَ مـن خَلْقه، وفاز، وجعـل الدنيا جسرًا إلى الآخرة.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾.

أكبر خسارةٍ أن تخسر نفسـك؛ لأنَّ نفسَك رأسُ مالِكَ، وأنت تربح نفسَـك إذا عرَّفتها بربها، إذا أَلْزَمْتَها سـبيلَ الاسـتقامة؛ لذلك قال رسول اللهﷺ: «الكَيِّـسُ مَنْ دَانَ نَفْسَـهُ وَعَمِـلَ لِمَا بَعْدَ المَوتِ، وَالعَاجِـزُ مَنْ أَتْبَعَ

نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الْأَمَانِيَّ». (رواه الترمذي وابن ماجه).

ثم قال تعالى يصف حال الكافرين:

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾.

(كالِح): عابِس، حينما تأتيه لَفْحَةُ النار ينكمِش جِلدُهُ فتظهرُ أسنانُه بشكلٍ قبيح، ثم بعد ذلك يأتي العتاب الإلهي:

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

ألم تكن تسمع آيات الله القرآنية، وترى آياته الكونية.

﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

(الشِّقْوَة) -هنا- تعني الشهوة، سماها اللهُ شقوةً لأن الشهوة تؤدي إلى الشقوة.

﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾.

يطلبون فرصة أُخرى، فيأتي الردُّ: (اخْسَؤُوا) أي: ابتعدوا أيها الأذلَّاء؛ فطلبكم هذا كلامٌ لا يُجْدِي، ابتعدوا ولا تكلموني؛ فقد كنتم في الدنيا وعُمِّرتُم فيها عمرًا كافيًا، قال تعالى: ﴿...أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ...﴾ [سورة فاطر: ٣٧].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾.

كنتم تضحكـون وتظنون أنكم أنتـم الأذكياء وهـم الأغبياء، كنتم تظنـون أنكم أنتم الرابحون وهم الخاسرون، كنتم تظنون أنكم أنتم الذين تعرفون كيف تكون الحياة وهم لا يعرفون...

كانت السُـخْرِيَة منهم قد أَنْسَـتْكُم ذكرَ الله عزَّ وجل، حيث تُمْضُون أوقاتَكم في السخرية والاستهزاء.

﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾

هـؤلاء الذين انغمسـوا في ملـذَّات الدنيـا إلى قمة رؤوسـهم كانوا خاسرين، هؤلاء الذين أقبلوا على الدِرهم والدينار، وعبدوا شهواتهم من دون الله هـم الخاسرون؛ وأمـا الذين صبروا على أذاكم فهـم الذين فازوا بالجنـة. لذلك ربنا عـزَّ وجل قـال: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة المطففين].

﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾.

ربنا عزَّ وجل يسأل هؤلاء: وهذا سؤال دقيق جدًّا.. مهما طالت أيامُ المـرء في الدنيا فإن مصيرَه المـوتُ، فهل من العقـل أن يُضيع نعيمَ الآخرة الباقي من أجل لذةٍ فانية؟!

﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾.

تَمُـرُّ الدنيا على الإنسـان يوم القيامة وكأنها يـومٌ، كلُّ واحدٍ له عُمر، تقـول له: يا أخي كم عمرك؟ يقول: سـتون، كيـف مضت؟ يجيبك: والله البارحـة كنـت طالبًـا صغيرًا، الـذي في الأربعـين من العمـر يقول لك: البارحـة كنت صغيرًا، والذي في السـتين يقول القول نفسـه، تمضي الأيام سريعًا كلمح البصر، وكأنَّه يومٌ أو بعض يوم: اسأل الملائكة الذين وُكِّلوا بِعَدِّ الأيام، يأتي الجواب:

﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾.

قال ربنا:

(إن) – هنـا – حرف نفي، أي: ما لبثتم إلا قليلًا، أي: ضَحَّيتم بهذه الآخرة العظيمة من أجل أيامٍ معدودةٍ...

لو أنكم تعلمون حقيقة الدنيا لما استهلكتم الوقت في الأباطيل، ولا في سفاسف الأمور.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾.

أفظننتم أنكم مخلوقون عبثاً بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا!

إنـما هكذا الدنيا، فيها قـويٌّ وفيها ضعيف، وفيهـا قويٌّ تعدَّى على ضعيـف، هل انتهـى الأمر؟ أهكـذا تظنـون؟ كلا، إن لها هدفاً وسـوف ترجعون إلينا للحساب.

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾.

تعـالى عن أن يخلق الخَلْقَ عبَثًا، تعالى عن أن يخلقنا بلا حسـاب، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [سـورة القيامة]، لا بدَّ من حسـاب، لا بدَّ من جزاء.

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾.

جُملة (لا برهان له به) سـمَّاها علماء البلاغة قَيدًا توضيحيًّا، وليسـت قيـدًا احترازيًّـا، أي: لا يمكن أن يكـون هناك برهانٌ لإلهٍ آخـر، لكنَّ مَنْ يدعو مع الله إلهًا آخر فإنه من شأن هذه الدعوى الباطلة أنه لا برهان عليها.

﴿... إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾.

الكافـر لا يُفْلِـح مهما قدَّم من عمـل أو أخَّر، مهما عـلا، مهما طغى وبغى، فإنه لن يفلح، ولا بد له من السقوط في الدنيا والخسران في الآخرة.

وأخـيرًا، يعلِّمنا ربنا سـبحانه وتعالى كيـف ندعوه: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

غفر الله لنا ما قدمنا من أعمال خاطئة، فأنت دائم الرحمة سبحانك.

والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

هناك صِفات وخِصالٌ كثيرة للمؤمنين ذُكِرتْ في القرآن الكريم في آياتٍ متفرقة في السُّوَرِ، وقد ذكرت هذه السورة أهم صفاتهم، ووضَّحت مصيرَ المكذِّبين، وكأنها تسألنا: أين أنتم من صفات هؤلاء المؤمنين المفلحين؟ كما أنها تلفت النظر إلى معنًى مهمٍّ، حيث إن هذه الصفات تجمع ما بين الأخلاق والعبادات..

تبدأ السورة بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ فمن هم؟ وكيف نكون منهم؟

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾، هل تخشع في صلاتك؟

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾، هل تغتاب؟ هل تقع في النميمة؟ هل تمسك لسانَك عما لا يفيد من الكلام؟

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾، هل تحسب أموالك بشكل دقيق كل سنة لتخرج زكاتها؟ هل تتصدق؟ وهل أنت من الذين يزكُّون أنفسَهم من الأخلاق والأعمال السيئة؟

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾، كيف أنت مع غضِّ البصر والبُعْد عن كل ما يؤدي إلى الزنا؟

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾، كيف حفظك

للأمانـة؟ من أبسـط أنواعها إلى أمانـة الدِّينِ وحِفْظه ونَـشْرِه بين الناس؟ زوجتـك وأولادك أمانـة؟ منصبك في عملـك أمانة؟ التزامـك بالعهود والعقـود والمواثيـق التـي قطعتهـا بينك وبـين الله، وبينك وبـين الناس، والالتزام بالعهود كل ذلك من الأمانة...

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ ﴾، هل تحافظ على الصلاة في أول وقتها مع الجماعة؟

فـإذا كانت نسـبة تحقيق هذه الصفات عالية عندك، فاسـتبشر بقوله تعالى:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾.

ثـم تنتقـل الآيات في هذه السـورة إلى ذكر تاريـخ المؤمنين على هذه الأرض.

وبعـد ذلك تعـرض الآياتُ صفـاتٍ أخرى للمؤمنين، هـي بمثابة مستوى أعلى من الصفات السابقة:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝٥٧ ﴾، في أول السـورة كان الخشـوع صفة مطلوبة في الصلاة، أما هنا فالمطلوب أن تصاحبك خشـية الله تعالى في كل أمور حياتك.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٨ ﴾، أي: الإيـمان بـالله وآياتـه القرآنية تلاوة وتدبُّرًا، والإيمان بآياته الكونية تأمُّلًا وتفكُّرًا.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾، فلا يشركون مع الله أحدًا في عبادتهم له، سواء أكان هذا الشرك شركًا أكبر، كأن يدعو مع الله إلها آخر، أو شركًا أصغر وهو الرياء، فإياك أن تبتغي من عملك شيئًا سوى الأجر والثواب من الله تعالى...

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾، وهنا القِمَّة في صفات المؤمنين، وهي أن تعبد اللهَ تعالى وتنفِّذَ أوامرَه ثم تخافَ عدمَ قَبولِ العمل!

وقد سألت السيدة عائشةُ رسولَ الله ﷺ عن هذه الآية، فقالت: أهُوَ الرجلُ يسرِقُ ويزني ويخشى الله؟ فقال: «لَا يَا ابنَةَ الصِّدِّيق، ولكنَّهمْ الذينَ يصُومُونَ ويُصَلُّون ويتصدَّقُون وهم يخافُون أنْ لا يُقبَلَ منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات» رواه الترمذي.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾، ومن صفاتهم أيضًا أنهم لا يتركون فرصةً لتحصيل الأجر والثواب إلا سارعوا إليها وتسابقوا عليها.

وكان ختامُ السورةِ بتعليمنا دعاءً رائعًا: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾؛ ذلك أن المؤمنين الذين اتصفوا بالصفات التي سبقت في السورة قد يخطئون أو يقصِّرون، فكان الختام بآية ترشدهم إلى طريق الاستغفار من الذنوب والتقصير الذي قد يقعون بها.

إن الذين اتصفوا بتلك الصفات هم المؤمنون حقًّا؛ لأنهم جمعوا بين الإسلام والإيمان، بين الأعمال الباطنة والأعمال الظاهرة، بين العلم

والعمـل، وبين أداء حقوق الله وحقوق عباده (وهذه كلٌ لايتجزأ)، وقدَّم تعالى أعمالَ القلوبِ لأنها أصلٌ لأعمال الجوارح وهي أفضل منها.

إن صفات المسـلم وصفات المؤمن هي صفات متلازمة، فلا يكون إيمان حقيقي من غير إسـلام بأركانه الخمسـة، ولا إسلامٌ حقيقي من غير إيمان بأركانه السـتة كما ورد عن الرسـول الكريم في حديث سيدنا جبريل عليه السلام.

وعلى المؤمن المسلم أن يرتكز في حياته وتعاملاته إلى مرجعية عقائدية وأخلاقية وتشريعية تجعل منه إنسـانًا منضبطًا بضوابط شرعية ومُثُلٍ وقِيَمٍ أخلاقية لا يتعداها، والله وليُّ التوفيق.

تم بحمد الله

الفهرس

إهداء ٥

مقدمة ٧

سورة المؤمنون: آياتها ٢١

تسميتها ٢١

سبب نزولها ٢١

فضل خواتيم سورة المؤمنون ٢٢

محاور السورة ٢٢

السورة: النص ومعاني الكلمات مع هداية الآيات ٢٤-٣٩

التفسير الموضوعي لسورة المؤمنون ٤١

من خواطر ومحاضرات فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ٥٣

الخاتمة ١٠١

الفهرس ١٠٧

ملاحظات

١.

٢.

٣.

٤.

٥.

٦.

٧.

٨.

٩.

١٠.

١١.

١٢.

١٣.

١٤.

١٥.

ملاحظات

١٦.

١٧.

١٨.

١٩.

٢٠.

٢١.

٢٢.

٢٣.

٢٤.

٢٥.

٢٦.

٢٧.

٢٨.

٢٩.

٣٠.

ملاحظات

٣١.

٣٢.

٣٣.

٣٤.

٣٥.

٣٦.

٣٧.

٣٨.

٣٩.

٤٠.

٤١.

٤٢.

٤٣.

٤٤.

٤٥.

3alamatnisurah